مجلـــة جـــامـعـة الســـعـيـد للعلـــوم الإنســـانيـــة
Al – Saeed University Journal of Humanities Sciences
journal@alsaeeduni.edu.ye
Vol (9), No(2), Aug., 2026 المجلـد(9)، العـدد(2)، 2026م
ISSN: 3104 – 8951 (Print) ISSN: 3104-896X (Online)

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في الدراسات الثقافية اليمنية

حمود قائد غالب أحمد
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة تعز- اليمن
hammud.aljaifi@gmail.com

حسن أحمد حيدر
أستاذ الأدب والنقد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة تعز- اليمن
dr.hasanh1962@gmail.com

بحث مستل من رسالة الدكتوراه.

تاريخ تسليم البحث: 2026/6/26م تاريخ قبوله للنشر: 2026/7/25م

موقع المجلة: journal.alsaeeduni.edu.ye

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في الدراسات الثقافية اليمنية

حمود قائد غالب أحمد
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة تعز- اليمن

حسن أحمد حيدر
أستاذ الأدب والنقد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة تعز- اليمن

الملخص

تناول هذا البحث موضوع إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في الدراسات الثقافية اليمنية، من خلال المنجز النقدي لعدد من النقاد اليمنيين. وقد تبين أنهم قد وظفوا المنهج البنيوي في دراساتهم وأفادوا من إجراءاته التحليلية وعملوا على تسخيرها لخدمة النقد الثقافي. وقد اتبع الباحث في بحثه منهجية نقد النقد وفق مستوياتها الثلاثة: – مستوى التساؤول، ومستوى التفسير، ومستوى المراجعة الكلية – التي تنطلق في مسارات عدة، منها تفكيك أبنية النص النقدي الإجرائية البنيوية والثقافية، والمقاربة بينها، وصفًا، وتحليلًا، وتأويلًا، واستقراءً، وتركيبًا. وتوصل البحث لعدد من النتائج التي أظهرت أن النقد الثقافي في الدراسات الثقافية اليمنية استفاد من البنيوية بوصفها الطريق الوحيد لكسر الغواية الفنية، وكشف السلطة المتوارية خلف البيان، واستجلاء الحقيقة النسقية المتوارية خلف النصوص الشعرية والسردية القديمة والحديثة. كما أظهرت النتائج أن البنيوية مثلت القاعدة التقنية للنقد الثقافي في قراءة النص من الداخل (بنيوية النص) كخطوة إجرائية ضرورية للانتقال للقراءة من الخارج (ربط النص بسياقه السياسي والاجتماعي). وكذلك أظهرت النتائج أن النقد الثقافي المقارن وظف الأدوات البنيوية لكسر احتكار المركزية الغربية للقيمة الجمالية، وكشف الإسقاطات النسقية التي تهدف لترسيخ تفوق ثقافة المركز وتشويه صورة الآخر. وأظهرت النتائج أن البنيوية تمثل الصبغة العلمية المنضبطة التي تحمي النص النقدي من أهواء الرواة وانحيازات المؤرخين، كونها تحليلًا موضوعيًا للأنساق الكامنة في لغة النصوص.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النقد البنيوي، الانساق المضمرة، الدراسات الثقافية اليمنية، الغواية الفنية، الأقنعة الجمالية، التحول الاجرائي.

The Benefits of Cultural Criticism derived from Structural Criticism in Yemeni Cultural Studies

Hamood Qaid Ghalb Ahmed
PhD Candidate, Department of Arabic Language
Faculty of Arts, Taiz University, Yemen

Hassan Ahmed Haider
Professor of Literature and Literary Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Taiz University, Yemen

Abstract

This study examines the benefits of cultural critcisim derived from structuralist criticism in Yemeni cultural studies through the critical achivements of a number of Yemeni critics. The study has found that they effectively employed structuralist approach in their studies and benefited from its analytical procedures, and harnessed them to serve the cultural criticism.

The researcher in his study adopted the methodology of critique of criticism (meta-criticism) at its three analytical levels: questioning, interpretation, and comprehensive review which operates through multiple analytical pathways, including the deconstructing the structuralist and cultural procedural frameworks of critical text and conducting an approach between them through the mechanisms of description, analysis, interpretation, induction, and synthesis."

The study reaches several significant conclusions which demonstrates that cultural criticism in Yemeni cultural studies has benefited from structuralism, regarding it the only way to break the artistic camouflage and exposing the hidden structures of power underlying text, and uncovering the latent systemic truths embedded behind both classical and modern poetic and narrative texts.

Furthermore the conclusions demonstrated that structuralism constituted the technical foundation of cultural criticism by enabling an internal reading of the text (textual structuralism) as an essential procedural step toward an external reading that relates the text to its political and social context.

The conclusions further demonstrated that comparative cultural criticism employed structuralist tools to break the Western centric monopoly over aesthetic value and to expose the underlying systemic projections intended to reinforce the cultural superiority of the Center while distorting the image of the Other. The cinclusions also showed that structuralism represents a rigorous scientific framework that safeguards critical text from the subjectivity of narrators and the biases of historians as it is an objective analysis of the latent structures embedded in the language of literary texts.

Keywords: Cultural Criticism, Structural Criticism**,** Implicit Patterns**,** Yemeni Cultural Studies, Artistic Camouflage, Aesthetic Masks**,** procedural**.**

مقدمة:

شـــهد النقد بصـــورة عامة – في اليمن – منذ عام ٢٠٠٤م تطورًا وانفتاحًا كبيرًا على المناهج الغربية والعربية، لاســيما النقد الثقافي الذي يُعدُّ من أهم الاتجاهات الحديثة التي واكبتها الدراســات الثقافية اليمنية ولمست تحولها المعرفي. وبناءً على ذلك نلاحظ أن هذه الدراسات استمدت مرجعيتها من منظورين نقديين عربيين بوصـــفهما نتاج التأثر بكثير من الاتجاهات النقدية الغربية، وقد تجلّى المنظور الأول: بالتأصـيل الذي أعدّه الغذامي، واكتسـب صـفة الريادة – عربيًا – كونه أول مشـروع ثقافي ظهر على الساحة النقدية العربية عام(٢٠٠٠م). وتمحورت وظيفة هذا المشروع حول الكشف عن القيم الثقافية في النصوص النخبوية. ومن ثمّ انبثقت رؤى تصـحيحية عديدة تسعى لسد الفجوات التي خلفها هذا التأصيل، وكانت أولى هذه الرؤى؛ رؤية يوسف عليمات التصحيحية (٢٠٠٤م) التي رأت أن المنظور التأصـــيلي أغفل فجوة كبيرة تمثلت بعدم مزاوجة الفن بالقيم الثقافية النســـقية في إجرائه التأصيلي، ومن هذا المنطلق انبثق مسعاها التصحيحي. ثم اتسع نطاق الفضاء الثقافي بشكل كبير في كل البلدان العربية، مما أسهم في ظهور العديد من الرؤى النقدية والتي تجلت في مسارين: الأول، هو الرؤى التي اتسـمت بالتبعية المطلقة للتنظيرات العربية، والثاني: هو الرؤى التي اتسـمت بالموازنة بين التأصيلي والتصحيحي وبين المبتكر.

إشكالية الدراسة وأسئلتها:

تتبلور إشكالية هذه الدراسة في التساؤلات الآتية:

١- هل استطاع النقاد اليمنيون الإفادة من النقد البنيوي ومعطياته في الدراسات الثقافية اليمنية؟ وما طبيعة هذه الإفادة وما مظاهرها؟

٢- هل شـملت هذه الإفادة الدراسـات الثقافية اليمنية التي شـملها البحث كلها؟ أم اقتصـرت على بعضها، ولماذا؟

٣- كيف تغلب النقاد اليمنيون على التناقض الحاصل بين الرؤية البنيوية للنص بوصفه كيانًا نسقيًا مغلقًا وبين الرؤية المفتوحة على السياقات الثقافية في النقد الثقافي؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- الكشف عن الإفادات التي استفادها النقد الثقافي من النقد البنيوي في الدراسات الثقافية اليمنية.

٢- الكشف عن مدى قدرة النقاد اليمنيين على توظيف البنيوية وتحريرها من نسقيتها المغلقة وجعلها في خدمة النقد الثقافي المنفتح.

٣- معرفة الآلية الإجرائية التي اتبعها النقاد اليمنيون في الكشـــف عن الأنســـاق المضـــمرة في الموضوعات التي تناولوها.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراســـة من خلال تقديمها الدور الجوهري الذي لعبته المنهجية البنيوية في تطوير الدراســات الثقافية اليمنية وتحديث أدواتها التحليلية. فقد نجح الباحثون في تحويل البنيوية من مجرد قوالب لغوية جامدة إلى وسيلة تحليلية تكشف عن الأنساق العميقة والمضمرة داخل النصوص الأدبية والشفاهية. وبدلًا من الاكتفاء بالجماليات الظاهرة، عملت هذه الدراسات على تفكيك صراعات القوى والمواجهة بين الهيمنة والتهميش لدفع عجلة النهوض المجتمعي. كما ســاهمت هذه الدراســات في تعزيز الاســـتقلال الثقافي ومقاومة المركزية، مما خلق توازنًا نقديًا في ظل تداخل الثقافات العالمية. وبذلك، أصبحت الأدوات الفنية جسرًا لعبور النقد من الوصف السطحي إلى التأويل الثقافي العميق والشامل.

مصطلحات الدراسة:

تتوزع مصطلحات هذه الدراسة بين ثلاثة حقول معرفية رئيسة، أولها: النقد البنيوي، وثانيها: النقد الثقافي، وثالثها: مصـطلحات خاصـة بهذه الدراسـة. وتجدر الإشـارة إلى أن هذه الدراسـة اسـتعارت مصـــطلحات الحقل الأول لتكون أدوات إجرائية تخدم غايات الحقل الثاني وذلك لكشـــف الأنســـاق العميقة. وتحويل النص من مجرد بنية لســـانية ســـاكنة إلى وثيقة ثقافية حية تعكس موازين القوى وصراعات المجتمع. ويمكن توضيح أبرز المصطلحات في الآتي:

أولًا: مصطلحات المنهج البنيوي (الأدوات الإجرائية الصغرى):

- مصـطلح البنية: تُعرَّف بأنها كلٌّ مكون من ظواهر متماسـكة يتوقف كل منها على ما عداه، وهي تصور تجريدي يتعلق بما وراء الواقع المباشر. وهو المصطلح البنيوي المرادف لمصطلح النسق الثقافي.
- مصـطلح مبدأ المحايثة أو التحليل المنبثق، هو المبدأ الذي يفسر النص في ذاته ولذاته بعيدًا عن السياقات الخارجية كالتاريخ أو سيرة المؤلف.
- مصـــطلح الدال والمدلول: الدال هو الصـــورة الصـــوتية والمدلول هو المفهوم الذهني، وتوصـــف العلاقة بينهما بأنها اعتباطية واصطلاحية.
- الثنائيات الضدية: هي المقاربة بين المتناقضات داخل العمل الأدبي لاستجلاء نظامه الداخلي.
- مصـطلح التفكيك والتركيب: آليتان منهجيتان اسـتعارهما النقد الثقافي لتحليل بنية النص والوصـول إلى الأنساق المتحكمة فيه.
- مصـــطلح ســـجن العلامات: مصـــطلح اســـتخدمه البحث لوصـــف انغلاق البنيوية على الجوانب الجمالية واللسانية دون النفاذ إلى الواقع الاجتماعي.

ثانيًا: مصطلحات النقد الثقافي (الغايات والمفاهيم والإجراءات الكبرى):

- مصطلح النسق المضمر، وهو المفهوم المركزي في النقد الثقافي الذي يرادف دلالة البنية في النقد البنيوي، ويشير إلى المنظومة المتكاملة التي تشكل بنية الوعي وتختبئ خلف النص الجمالي.
- مصطلح الغواية الفنية أو الأقنعة الجمالية: هي الوسائل البلاغية والبيانية التي تتوسل بها الثقافة لتمرير حمولاتها وأنساقها إلى لاوعي المتلقي. – مصطلح الحادثة الثقافي: مصطلح يعيد تعريف النص (خاصة المثل الشعبي) بوصفه بنية نظامية محملة بصراعات القوة وسلطة الفعل الاجتماعي.
- مصطلح اللاشعور النصي: الأنساق المترسبة بطريقة غير واعية داخل البنية التواصلية للنص.
- مصطلح الدلالة النسقية أو الدلالة الثالثة: هي الدلالة التي تتجاوز المعنى الصريح والضمني لتكشف عن الأنساق التاريخية والأزلية الكامنة في النص.

ثالثًا: مصطلحات إجرائية خاصة بالدراسة (الجسر المنهجي):

- مصطلح المحرك الإجرائي: وصف للدور الذي لعبه النقد البنيوي في تأسيس طرق تحليلية جديدة للنقد الثقافي.
- مصطلح المختبر اللساني: مصطلح يعبر عن استخدام المنجز اللساني كأداة علمية منضبطة لتفكيك التحيزات العرقية أو المذهبية في اللغة.
- مصطلحي الفحولة والشيئنة: أنساق ثقافية ركزت الدراسة على كشفها؛ حيث تعني «الفحولة» سلطة الذات المتألهة، وتعني «الشيئنة» اختزال الإنسان (خاصة المرأة) في دلالة المادة والجسد.
- مصطلح الحاجة الاجتماعية: القوة الدافعة لتطور الأجناس الأدبية وتغيير البنى النصية وفقًا لاستعداد البيئة الاجتماعية.

حدود الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة من خلال النطاق الموضوعي والجغرافي والبشري الذي ركزت عليه في تتبع إفادات النقد الثقافي من المنهج البنيوي، ويمكن تفصيل هذه الحدود في الآتي:

أولًا: الحدود الموضوعية (المجال المعرفي):

اختصت هذه الدراسة في رصد العلاقة التفاعلية بين النقد البنيوي (كأداة إجرائية) وبين النقد الثقافي (كغاية تحليلية). وركزت بشكل دقيق على كيفية استثمار الأدوات اللسانية والفنية البنيوية، (مثل: التفكيك، التركيب، الثنائيات الضدية، والمستويات الصوتية) للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة خلف جماليات النصوص.

ثانيًا: الحدود الجغرافية والسياقية والمنهجية:

تتمركز هذه الدراسة في فضاء الدراسات الثقافية اليمنية والساحة النقدية في اليمن. فهي لا تدرس البنيوية أو النقد الثقافي بشكل عام، بل تبحث في التحول الإجرائي الذي قام به النقاد اليمنيون

لتطويع هذا المنهج ضمن بيئتهم الثقافية والاجتماعية. وتنطلق هذه الدراسة وفق نقد النقد الذي يسعى لإنتاج "دلالة ثالثة" على الدلالة الأولى التي تحاورها الدلالة الثانية التي يصنعها الناقد الأصلي، وهو نشاط فكري يبحث في مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية؛ «ويكتسب أهميته وحيويته من كونه مختلفًا في رؤيته مما يتخذه موضوعًا للمساءلة المعرفية»(١).

وحدد الناقد جابر عصفور ثلاثة مستويات أو محاور أساسية لاشتغال نقد النقد، وهي: «الأول: المستوى التساؤلي، والمستوى التفسيري، ومستوى المراجعة الكلية»(٢).

ويعد موضوع نقد النقد «أوسع من المادة النقدية نفسها؛ لأنه يشتمل على عنصرين: الأول، المادة النقدية (نظريًا وتطبيقيًا). والثاني، الإنتاجية (الإبداع على الإبداع)، ونلاحظ أن خطاب نقد النقد يسعى إلى تأسيس حضور النظرية من خلال مهمتين، الأولى: مقاربة النص في جزئياته التفصيلية وتفكيك أبنيته ومراجعة منطلقاته، والأخرى: يقف عند النصوص الإبداعية، لا ليقدم قراءة بديلة لها، ولكن ليستكشف آليات ومناهج القراءة النقدية ومزالقها في مباشرة النصوص، وفق قراءة مزدوجة الهدف؛ قراءة النص النقدي قراءة محاورة واختلاف، وفي الوقت نفسه ينجز قراءته الخاصة للنص الأدبي المنقود وهذا ما يتضح في نقد النقد التطبيقي، أو ما يصطلح عليه بالميتا نقد التطبيقي»(٣).

ثالثًا: الحدود البشرية (عينة الدراسة):

تبلورت الدراسة في مراجعة وفحص المنجز النقدي لنخبة محددة من الأكاديميين والنقاد اليمنيين، وهم: الدكتور: أحمد قاسم أسحم: في تحليله للأنساق المضمرة في شعر نزار قباني وصناعة النسق الإيجابي في مقالات مي زيادة. والدكتور: عبد الحميد الحسامي: في اشتغالاته على النقد السياسي في المثل الشعبي وذاكرة الزنار. والدكتور: فتحي الشرماني: في دراساته حول دينامية النسق في القصيدة الجاهلية والتحول الثقافي في القصيدة اليمنية المعاصرة. والدكتور: نصر الصباحي: في رصده للأنساق الثقافية في الأمثال الشعبية اليمنية. والدكتور: عباس السوسوة: في رؤيته للنسق المضمر والمختبر اللساني. والدكتور: مسعود عمشوش: في مجال النقد الثقافي المقارن وأدب ما بعد الاستعمار. والدكتور: حيدر محمود غيلان: في تتبع دور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيم الأدب المقارن. والجدير بالذكر أن هذه الدراسات ليست الوحيدة على الساحة النقدية اليمنية، ولكنها تتسم بخصوصية التكامل والشمول التي جعلتها خير من يمثل طبيعة المشهد النقدي الثقافي في اليمن تمثيلًا حقيقيًا من حيث المنهجية والموضوعية والتاريخية والتطبيقية، وحظوتها بجماهيرية عالية.

---

(١) باقر جاسم محمد: نقد النقد أم الميتانقد - محاولة في تأصيل النفهوم، مجلة. عالم الفكر، مج: ٣٧، ع٣، مارس ٢٠٠٩م، ص١١٨.

(٢) ينظر: جابر عصفور: نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٩٢- ٢٩٦.

(٣) ينظر: عماد شارف، وداودي صورية: خطاب النقد ونقد النقد في الثقافة العربية - سياقات النشأء وعوامل التحول، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مج: ١٠، ع٥، ٢٠٢١م، ص٦٦٧.

رابعًا: الحدود النوعية (المادة المدروسة):

تضمنت الدراسة تحليل أنماط نصوصية متنوعة تم تطبيق الأدوات البنيوية عليها ثقافيًا، وهي: النصوص المكتوبة: مثل: الشعر الجاهلي، شعر الفضول، شعر نزار قباني، والرواية. والرسائل، والسيرة الذاتية والنصوص الشفاهية: وتمثلت بشكل رئيس في الأمثال الشعبية اليمنية. والنصوص المقارنة والموازية: مثل نصوص الميديا، الصور النمطية في الأدب الغربي، والمقالات الأدبية.

الدراسات السابقة:

لم نجد دراسات سابقة لهذه الدراسة وإنما وجدنا دراسات أدبية وثقافية مشابهة لها في الاتجاه الثقافي، وهي الآتي:

١- النقد الثقافي في الجزائر، قراءة نقدية في كتاب أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، لطارق بوحالة، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، الجزائر، مج:١٦، ع٢، بتاريخ ٣١/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

٢- كتاب النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي – العراق أنموذجاً للدكتور عبدالرحمن عبدالله أحمد، من إصدار بغداد عاصمة الثقافة العربية٢٠١٢م.

أسباب اختيار الموضوع

يعد الإنسياق ضمن تخصص النقد الحديث والمعاصر الدافع الرئيس لاختيار هذا الموضوع، وكون الموضوع من الحقول البكر التي لم تطرق بابها الدراسات حسب علمنا، فضلًا عن رغبتنا الملحة في معرفة النتاج النقدي اليمني، ناهيك عن التعريف بأعلام النقد اليمني الذين لهم باع كبير وحضور لافت في النقد اليمني – خاصة – والنقد العربي – عامة– وتقديم دراسة تأصيلية تربط النقد الثقافي بأهم أدواته الإجرائية لتوسيع أفق القراءة، وتجاوز الانغلاق النصي.

أولًا: التأسيس النظري:

البنيوية – في الأصل – هي ذلك المنهج اللغوي الذي ظهر في أوربا وأمريكا في بداية القرن العشرين الميلادي، وهو يكتفي بدراسة اللغة نظامًا وبنية، أي يكتفي بدراسة النسق اللغوي بعيدًا عن السياقات الخارجية حيث يشكل النسق اللغوي كلًا متكاملًا، وسرعان ما حدثت النقلة من البنيوية اللغوية إلى البنية الأدبية، أي من النسق اللغوي إلى النسق الأدبي(٤).

ويعرِّفها صلاح فضل: بأنها «كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه»(٥). فالبنية «تصور تجريدي يعتمد على الرموز

(٤) ينظر: حاج برادعي، الحاج جغدم: آلية التحليل البنيوي لبنية معنى النص الشعري، مقال في مجلة اللسانيات والترجمة، الجزائر، مج: ٤، ع: ١، ديسمبر٢٠٢٥م، ص٩ إلى ٢٠.

(٥) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م، ص١٢١.

وعمليات التوصيل التي تتعلق بالواقع المباشر وتعد البنية ذاتها شيئًا وسيطًا يقوم في ما وراء الواقع»[٦]. وهي نشاط إنساني قبل أي شيء آخر، أي تتابع منتظم لعدد من العمليات العقلية الدقيقة[٧]. وتستند النظرية البنيوية إلى مجموعة من المبادئ العلمية المستمدة من اللسانيات الحديثة، وتحديدًا من "دي سوسير" الذي وضع حجر الزاوية لهذا الاتجاه، لصياغة نموذج علمي موضوعي يصف كيفية بناء النص وتوليد الدلالة من خلال شبكة العلاقات الداخلية المعقدة التي تحكمه. "فالبنيوية طريقة تحليل وقراءة نقدية في المنجز الأدبي داخلية علائقية آنية تستهدف النص ككائن قائم في ذاته ولذاته وفق نظام معين ولا شيء خارج النص"[٨]. وتفرّق البنيوية بين اللغة كنسق اجتماعي وقواعد مجردة مخزونة في ذهن الجماعة، وبين الكلام كفعالية فردية وممارسة واقعية لهذه القواعد، ويركز الناقد البنيوي على نظام اللغة الكلي الذي يحكم إنتاج النصوص وأكد سوسير على ضرورة الفصل بين المحور التوقيتي (الوصفي) الذي يتمثل بدراسة العناصر في حالة تعايشها ضمن نظام ثابت وفي لحظة زمنية محددة، وبين المحور التعاقبي (التاريخي) المتمثل بدراسة تطورها عبر الزمن، كون البنيوية تبحث« في الواقع الإنساني عن مظاهر الثبات والاستقرار التي يمكن أن ترتكن عليها المعرفة العلمية الحقيقية»[٩]. وتنظر البنيوية إلى العلاقة بين الدال (الصورة الصوتية) والمدلول (المفهوم الذهني) بأنها علاقة اعتباطية واصطلاحية، وليست ناتجة عن ضرورة طبيعية؛ فالكلمة تكتسب معناها من خلال تواضع المجتمع عليها. ويرى أن العنصر اللغوي أو الأدبي لا يكتسب قيمته من صفاته الذاتية، بل من خلال اختلافه عن بقية العناصر داخل النسق. فالبنيوية نظام من التقابلات والمخالفات، التي تتحدد كل وحدة بما ليست هي عليه بالمقارنة مع الوحدات الأخرى. وتعتمد على الهدم والبناء في السياق النصي الظاهر، والمقاربة بين الثنائيات الضدية داخل العمل الأدبي الواحد[١٠]. فالبنيوية تدرس نوعين من الروابط والعلاقات التي تتمثل بالعلاقات السياقية التي تنشأ من تتابع الكلمات خطيًا في النص، والعلاقات الاستبدالية (الإيحائية) التي تربط الكلمة بعناصر أخرى غائبة مخزونة في الذاكرة ويمكن أن تحل محلها[١١]. وتتسم البنيوية بمنهجية التحليل الشمولي[١٢]، وذلك في النظر إلى العمل الأدبي كبنية كلية متكاملة، حيث تكتسب الأجزاء معناها من وظيفتها داخل هذا الكل. والتحليل المنبثق (الداخلي) الذي يحصر الدراسة في القوانين الداخلية

(٦) المرجع نفسه، ص١٩٧.
(٧) ينظر: المرجع نفسه، ص١٢٣.
(٨) شهيرة قدور جبار: الخطاب الجزائري من السياق إلى النسق - قراءة المنجز النقدي لدى حبيب مونسي، رسالة دكتوراه، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، الجزائر، ٢٠٢٢م -٢٠٢٣م، ص١٥٠.
(٩) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص١٢٥.
(١٠) ينظر: المرجع نفسه:ص١٣٣_١٣٤.
(١١) ينظر: شهيرة قدور جبار: الخطاب الجزائري من السياق إلى النسق - قراءة المنجز النقدي لدى حبيب مونسي، ص١٦٤.
(١٢) ينظر: صلاح فضل: المرجع السابق، ص١٣٣.

للنص، واستبعاد كل ما هو خارجي، مثل: سيرة المؤلف، التاريخ، أو الظروف السياسية والاجتماعية، فالبنيوية تتبنى مبدأ المحايثة أو كما أطلق عليه صلاح فضل، التحليل المنبثق، فالنظرة المحايثة نظرة تفسر الأشياء في ذاتها ولذاتها، ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تنبع من داخلها وليس من خارجها، تستدعي إقصاء السياق بأكمله من حيث الظرف الاجتماعي وبمعزل عن التعاقب التاريخي على أنها دراسة آنية زمنية للغة(١٣). ونرى أن خطوات التحليل البنيوي تتحدد تطبيقيًا من تحديد البنية السطحية (القراءة اللغوية)، وذلك من خلال تحليل المستويات البنيوية، كالمستوى الصوتي المتمثل بدراسة الحروف، والإيقاع، والوزن، والتكرار الصوتي وتأثيره الموسيقي. والمستوى الصرفي والمعجمي المتمثل بتحليل نوعية الكلمات، البنية الصرفية (اسم، فعل، مشتقات)، والمجالات الدلالية للمفردات. والمستوى النحوي المتمثل بدراسة تركيب الجمل، إن كانت الجمل فعلية أو اسمية، وكذلك التقديم والتأخير. كما تقوم بتفكيك النص إلى وحدات صغرى، كتقسيم النص إلى "وحدات دالة" أو متواليات سردية في القصة، أو صور شعرية في القصيدة. وتبحث عن الثنائيات الضدية، وذلك من حيث تحديد التضاد والتنافر والتجانس بين عناصر النص، وتقوم بعملية استخراج البنية العميقة (الدلالية)، وذلك في ربط الوحدات الصغرى لفهم القوانين الداخلية التي تحكم النص ككل، بعيدًا عن المعاني الظاهرة، وتكشف عن الأساليب والتقنيات الفنية. فالبنيوية هي المنهج الذي كرس فكرة "النص كمنظومة مغلقة من العلامات"، واستنادًا إلى ما سبق نرى أنه رغم أهمية البنيوية في تأسيس الوعي بالنظام اللساني، إلا أنها ظلت حبيسة الشرط الجمالي، وهو ما تجاوزه النقد الثقافي لاحقًا ليصل إلى الأنساق المضمرة خلف تلك البنى الجمالية.

ثانيًا: النقد البنيوي أداة النقد الثقافي التطبيقية في الدراسات الثقافية اليمنية:

اتفقت التنظيرت العربية التأصيلية والتصحيحية في الدرس الثقافي على عملية التحول من الأدبي إلى الثقافي، حيث يوافق عليمات الغذامي في ضرورة نقل الممارسة النقدية من دائرة "النقد الأدبي" – التي تنشغل بالبنية الفنية والبلاغية الظاهرة – إلى فضاء التحليل الثقافي الذي يسعى لفهم القوى المحركة للنص بوصفه منتجًا حضاريًا(١٤).

وحرصًا على ذلك دعا الغذامي إلى تحرير مصطلح النص من قيده المؤسساتي الذي يعتبره الشرط الأول لتحرير الأداة النقدية(١٥). وعمل على شرح هذه القضية موضحًا دورها في العملية النقدية الثقافية، فالنقلة في المصطلح لا تعني إلغاء النقد الأدبي؛ بل تحوير وتحويل النقد الأدبي إلى

(١٣) ينظر: المرجع نفسه، ص١٣٥.

(١٤) ينظر: يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي - الشعر الجاهلي نموذجًا، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.ص ٢٣

(١٥) ينظر: عبدالله الغذامي: النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م، ص٦١.

نقد ثقافي، بحيث يتم توظيف أداة النقد الأدبي توظيفًا جديدًا لتكون أداة في النقد الثقافي[١٦]. الذي يهدف إلى نقل الأداة النقدية من قراءة الجماليات وتبريرها إلى كشف العيوب النسقية المتوارية خلف عباءة الجمالي والبلاغي. وهو ما يجعل العمليات الإجرائية التحليلية في النقد الثقافي تعتمد على تحويرات وتعديلات في المصطلحات الأدبية البلاغية وإلباسها معطيات النقد الثقافي، لكي تؤدي المهمة الجديدة، كما ظهر ذلك في عملياته الإجرائية التي حددها «في نقلة المصطلح النقدي، ونقلة في المفهوم (النسق)، ونقلة في الوظيفة، ونقلة في التطبيق»[١٧]. وعليه يتحدد المجاز الكلي في النقد الثقافي في رؤية اللغة والأدوات الإجرائية والتقنيات الفنية كفعل ثقافي ذي طابع إجرائي عمومي، بحيث لا يتم المجاز الكلي إلا بتجاوز الاستعمال البلاغي ويصبح التعبير المجازي أداة ثقافية تخضع لشروط الأنساق الثقافية[١٨]. فالصفة العلمية التي يشتغل عليها النقد الثقافي هي صفة النشاط المعرفي وهي غير محدودة في مسار دون آخر نظرًا لطبيعته المتسمة بالشمولية التي تشتغل في ميدان نقد الخطاب ويشتغل على معطيات النقود المتعددة والميادين المعرفية والنتاجات الثقافية مقدمًا حيوية الخطاب النقدي المؤسس على مدرك نقدي سابق. وهو ما يراه الدكتور صلاح فضل، في أن المناهج المعاصرة لا تعمل في جزر منعزلة، بل تتبادل الإجراءات والمصطلحات لخدمة النص والواقع الثقافي[١٩]، ومن ذلك يصبح النقد الثقافي إجراءً عمليًا تطبيقيًا لا يستند على النص المستقل بذاته وإنما يعتمد في إجراءاته التطبيقية ومساءلته على كل ما هو متاح من نظريات ومفاهيم فلسفية واجتماعية ونفسية وسياسية وعلمية من أجل كشف الطاقات والأنظمة الثقافية والإشكالات الإيديولوجية وأساليب الهيمنة والسيطرة المختزلة في النصوص برمتها الراقية أو الشعبية حتى تتبدى الكيفية التي بها تتشكل الأبعاد والجوانب للوعي الفردي والتاريخ الإنساني"[٢٠]. وبناءً على ذلك يظهر هنا بصورة واضحة في أن الدراسات اليمنية وظفت النسقية البنيوية كأداة تحليلية لاختراق أغلفة النصوص الجمالية، متجاوزة انغلاق البنيوية على النص لتصل إلى الأبعاد السياسية والاجتماعية التي يرتكز عليها النقد الثقافي. ومن ثم نستطيع أن نقول أن الدراسات اليمنية أحدثت نقلة في المصطلح والإجراء، وذلك في تحويل الإجراء البنيوي النصي الأدبي إلى النسقي الثقافي ليشمل الأقنعة الحجاجية والأقنعة الفنية المتمثلة بالتشبيهات والاستعارات والأساليب وغيرها التي من خلالها يتشكل الطرف البنيوي الأول للنظرية الضدية التقابلية، والذي يواري خلفه الطرف الآخر بوصفه

(١٦) ينظر: عبدالله الغذامي: النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص٦٢.
(١٧) المرجع نفسه:ص٦٢ .
(١٨) ينظر: المرجع نفسه، ص٦٧.
(١٩) ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، سبريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٨.
(٢٠) ينظر: برجر آرثر إيزا: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة، تر: إبراهيم وفاء، وبسطا ويسي رمضان، مصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٣.

نسقيًا مضمرًا، وعليه نستطيع أن نؤكد بأن النقد الثقافي في الدراسات اليمنية لم يخلُ من إفادات النقد البنيوي المساندة في استجلاء مكامن النماذج التطبيقية باعتبارها أداة نقدية ثقافية شهدتها الساحة النقدية اليمنية في عدد من دراسات التي تحمل بين ثناياها انفتاحًا على البنيوية والإفادة من مبادئها وآلياتها النقدية(٢١) «التي تتسم بالديمقراطية وكانت خير ملاذ لإجراءات النقاد الثقافيين اليمنيين»(٢٢). وحاصل كل هذا يدفعنا إلى أن نجزم بأن النقد البنيوي يمتلك قدرة على توفير آليات تحليلية دقيقة تفكك بنية النص للوصول إلى الأنساق المتحكمة فيه، فالواقع أن جوهر النقد الثقافي هو تجاوز للمناهج النصية والبنيوية مع استعارة أدواتها المنهجية. وهذا ما يجعلنا نتتبع استفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في هذه الدراسات.

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في أعمال الدكتور فتحي الشرماني:

إذا ما بحثنا في الذي جعل النقد البنيوي أداة تطبيقية للنقد الثقافي في أعمال الدكتور فتحي الشرماني لوجدناه يكمن في الدور الإجرائي الذي يلعبه التحليل البنيوي والجمالي كشرط أساسي للنفاذ إلى الأنساق المضمرة؛ في حين أن النسق الثقافي يتخفى وراء أقنعة جمالية وغواية فنية، حسب منظور الغذامي، وهو ما يجعل تفكيك هذه الأقنعة لا يتم إلا بأدوات النقد الأدبي والبنيوي نفسه. وهذا ما جعل التحليل البنيوي الوسيلة الإجرائية التي لابد منها، لكسر هذه الغواية وكشف السلطة الثقافية المتوارية خلف البيان. لتصبح الأدوات الفنية البنيوية آلية لفك شفرات النص وتحويله من بنية لسانية ساكنة إلى وثيقة ثقافية حية تعكس موازين القوى. وهذا ما دفع تحليلات النقد الثقافي إلى استخدام الأدوات البنيوية (اللسانية والفنية) كطريق وحيد للنفاذ إلى الحقيقة النسقية المضمرة. ولإثبات ذلك نقرأ قول الأعشى:

«ذريني لك الويلات آتي الغوانيا متى كنتُ زرَّاعًا أسوق السوانيا؟
تُرجّى ثراءٌ من سِياسٍ ومثلها ومن قبلها ماكنت للمال راجيا(٢٣)

فنلاحظ أن الإجراء البنيوي (الظاهر) تمثل في تشريح البنية الحجاجية والمنطقية التي تم رصدها في توسلات الشاعر الأعشى الاعتذارية من الملك. والتي تجلّت في المستوى الأسلوبي المتمثل في أسلوب الالتفات الذي امتد من فعل الأمر (ذريني) إلى أسلوب الاستفهام (متى) وهنا نجد أسلوب الالتفات يصبح بمثابة شفرة لغوية جميلة لجذب انتباه المتلقين وتمرير ما هو قبيح إلى الذهن الجمعي وهو ما يشكل بنية ضدية في الممارسة البنيوية. كما تجلت البنية الحجاجية أيضًا في المستوى

(٢١) ينظر: شهيرة قدور جبار: الخطاب الجزائري من السياق إلى النسق - قراءة المنجز النقدي لدى حبيب مونسي، ص١٥٩
(٢٢) شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب نقلًا عن شهيرة قدور جبار: الخطاب الجزائري من السياق إلى النسق - مرجع سابق، ص١٥٩.
(٢٣) الأعشى الكبير: الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آذلف هلز هوسن، بيانة، ١٩٢٧م، ص٢١٧.

الصوتي المتمثل في «تصريع البيت الأول (الغوانيا / السوانيا) إلى جانب القافية اللذين تحقق بهما التكثيف الإيقاعي الذي يطرب أذن المتلقي ويشـــغله عن ملاحظة هيمنة المحمولات الثقافية. فنجد النقد الثقافي هنا يتخذ هذه الإجراءات البنيوية في الآلية الحجاجية التي تمثل الطرف الاول البنيوي للكشـف عن المضـمرات، كون هذه الحجج تعمل كغواية فنية ضـدية تلهي الملك (المتلقي) بجمال البيان، ليمرر الشاعر من خلالها نسقًا طبقيًا يضمر استعلاء الذات البدوية على السلطة الحضريّة، فالمعلوم أن الغزل والعشق والغانية من مظاهر البداوة في رؤية الأعشى، إذ لا يمكن أن يتعامل معها الإنســان الحضــري، إنســان البيئة الزراعية بحجة أنه مشــغول طوال يومه بما يصــرفه عن المرأة وأحوالها. وبذلك تم تمثيل الملك ككيان مســـتلب ثقافيًا أمام تفوق الشـــاعر[٢٤]. فالانتقال الإجرائي الثقافي تجلّى بتوظيف النقد البنيوي في تحويل الأدوات الفنية الجمالية من غايات في ذاتها (تذوق الجمال الظاهر) إلى وسـائل معرفية لاسـتنطاق دينامية النسـق الثقافي الكامن خلف النص؛ وبذلك تكون البنيوية وفرت للنقد الثقافي التشـريح اللازم لتحليله النصـي الذي لم يقف عند جمالية البلاغة، بل نفذ إلى ما وراء النص بوصـفه حاملاً للنسـق. وأصـبحت الأدوات البنيوية هي الطريق الوحيد لإماطة اللثام عن الأنســاق الثقافية (كالاســتعلاء الطبقي أو الفحولة) التي تتوســل بالجمال الفني لتمرير حمولاتها إلى لاوعي المتلقي، وبدون هذا التحليل الجمالي يظل النســـق مختبئًا وممارسًـــا لسلطته. كما يستثمر النقد الثقافي تحليل الأساليب الفنية البنيوية التي تُمَثِّل تواطؤًا نسقيًا يعمل على تحسين القيم النسقية المنحازة لتظهر بمظهر الحقائق الفنية المطلقة، ليتم الكشف عن الكيفية التي تم بها إضمار الأنساق الثقافية. ولإثبات ذلك نقرأ قول الشاعر بشر بن أبي خازم في وصف ناقته:

«هَوجـاءُ نـاجِيَـةٌ كـأنَّ جَـدِيلَهـا في جيدِ خـاضِـبَـةٍ إذا مـا أوجفوا
يَبِري لها خَرِبُ المُشَـاشِ مُصَـلَّمٌ صَـعْلٌ هِبَلٌ ذو مَناسِـفَ أَسْـقَفُ
أَكَّـالُ تَـنُّـومِ الـنِّـقَـاعِ كـأنَّـه حَبَشِـيٌّ حَـازِقَةٍ عَلَيه القَرطَفُ[٢٥]

فالنقد البنيوي في هذه الأبيات يظهر في البنية الضدية التي جسدها تشبيه الشاعر الناقة – في سرعتها – بالخاضبة (النعامة) التي يتعرَّض لها مصلم (الظليم ذكر النعامة) فتلوذ بالفرار بأقصى ما لديها من سرعة، ومن ذلك نرى أن المكون الجمالي في استخدام تشبيهات دقيقة تشبّه الناقة بالظليم والنعامة لإظهار براعة التصـوير الشـعري «الذي قدَّم نوعًا من التواطؤ مع النسـق الطبقي/العرقي؛ حيث تم استدعاء صورة الآخر الحبشي فقط كأداة تشبيهية لتوضيح القوة البدنية أو السرعة، مما

(٢٤) ينظر: فتحي الشرماني: دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٨م. ص١٤٢.

(٢٥) بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوانه، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص١٠٩، ١١٠.

يحول الإنسان المهمش إلى مجرد نموذج وظيفي فاقد للأهلية الإنسانية لترسيخ تفوق الذات العربية[٢٦]. ومن ذلك نجد التواطؤ تمثّل في الكيفية التي عمل بها التشبيه في قوله: "كأنه حبشي" كقناع دلالي يغري المتلقي ويصرف انتباهه عن القيم القبيحة أو السلطوية التي يحملها النسق الثقافي في العمق. بالإضافة إلى ذلك نجد النقد الثقافي يستثمر الأدوات الفنية البنيوية كآلية تخدم غاياته، وذلك في تفكيك واستنطاق الرموز والشفرات اللغوية وتحويلها إلى دلالات ثقافية، كتفكيك العناوين والرموز اللغوية في شعر الفضول، وتحويلها من مجرد صور جمالية إلى دلالات تعبر عن أنساق ثقافية مضمرة تُشكل الواقع. كاستنطاق الرموز اللغوية الواردة في عناوين القصائد (مثل: حد المواسي، الخوازيق، معبد الأوثان). وتوظيفها في تشخيص أنساق الإعاقة وحالة التخلف في الواقع المعاصر. حيث تخفي هذه الرموز حالة تعطل أدوات الفهم والتبصر لدى العقل الجمعي. وكذلك في استنطاق رموز نسق الكراهية كرمز الخوازيق (مفردها خازوق)، وهو الذي تم تحويله من دلالته المادية – المتمثلة بعمود مدبب حاد يجلس عليها المذنب في الأزمان الغابرة عقابًا له فيدخل من دبره ويخرج من أعلى رأسه – إلى دلالة ثقافية تعبر عن خوازيق لقطع جسور التواصل والتعايش، وترسيخ نسق ثقافي أسود يستعيض عن الحوار والمنطق بالتراشق بخطاب الكراهية. وكذلك في استنطاق رموز مسالك الثقافة الجديدة الإيجابية مثل، (الفيروزة، الرَّيان، أغنيات الشمس)، وتحويلها ثقافيًا لتصبح دلالات على النسق الممكن الثقافي، وهذا ما يراه النقد الثقافي بأنه النسق البديل الذي يحاول الشاعر ترسيخه في الوعي الجمعي بدلًا من أنساق التخلف، من خلال ثقافة النزوع إلى العقل المتبصر لهذه المفردات التي ترمز إلى أدوات التنوير والوعي الجديد الذي يصنع التحولات الحضارية الكبرى[٢٧]. أضف إلى ذلك أن النقد الثقافي استثمر الآلية البنيوية في تقسيم النص إلى بنى أو أنساق متقابلة؛ حيث تم تصنيف تجربة الفضول الشعرية إلى «(نسق الكائن وأقنعته/نسق المواجهة) و(نسق الممكن وأدواته/نسق التنوير)، (نسق التكامل، ونسق الأمل، ونسق الإنجاز)، وهذا التقسيم البنيوي مكّن النقد الثقافي من معالجة الأنساق المضمرة التي تعيق النهوض الحضاري، ومعالجة الأنساق المضمرة التي تؤسس للنهوض الحضاري[٢٨]. وكذلك استثمر النقد الثقافي الأدوات الفنية البنيوية (كالسؤال والرمز)، واستخدامها كأليات لتحديث المضامين والأفعال والممارسات النسقية الثقافية، كاستخدام التحليل البنيوي لتتبع سؤال الحقيقة الذي يحاول إبطال مفاعيل النسق المهيمن داخل النص الشعري، ويتتبع تحولات الأدوات البنيوية إلى أداة ثقافية تهدف إلى خلخلة القناعات المستسلمة

(٢٦) ينظر: فتحي الشرماني: دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية، ص١٥٥إلى١٥٩.

(٢٧) ينظر: فتحي الشرماني: التحول الثقافي في القصيدة اليمنية المعاصرة، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٣م، ص٣٩.

(٢٨) ينظر: المرجع نفسه: ص٣٩إلى٥٥.

وإعادة قراءة الواقع، وهو هدف يتجاوز الوصف البنيوي المجرد إلى الفعل الثقافي التغييري. ولإثبات ذلك نقرأ من قصيدة الفيروزة، حيث يقول الفضول:

«أين أشواقنا وأين هوانا؟

كيف سرنا إلى الدّجى من ضحانا؟

أين ما كان فرحة تملأ الحسَّ كأنا بها نزلنا الجنانا؟[٢٩]

ونرى من ذلك بأن حجاجية السؤال من أبرز أدوات التحليل البنيوي التي استُخدمها النقد الثقافي لتتبع الضد المتمثل في سؤال الحقيقة داخل النص الشعري، حيث لم ينظر النقد الثقافي إلى السؤال كأداة استفهام عادية، بل كآلية بنيوية تهدف إلى المكاشفة الثقافية. وخلخلة القناعات الثابتة والمستسلمة التي تعيق التفكير السليم. فالسؤال لا يبحث عن معلومة، بل يسعى لاستنطاق المسكوت عنه في الصراع بين الواقع (الكائن) والحقيقة المنشودة (الممكن)، مما يجعل من القصيدة مكاشفة طبية(علاجية) لجذور التخلف في الوعي الجمعي. «وكذلك في اتخاذ الشاعر رمز القناع حين جعل شخصيته العاطفية (قناع العاشق) وسيلة لتوجيه أسئلة محورية تحاكم الذات النخبوية والواقع، مثل: "أين أشواقنا وأين هوانا؟ وكيف سرنا إلى الدجى من ضحانا؟" حيث عمد الشاعر هنا على إشراك العاشق والمعشوق في الأفعال في قوله: (سرنا، هوانا)، فالسؤال هنا يتجسد في حالة المفارقة بين الحلم والواقع، وفي حالة تحول النموذج الحداثي إلى التخلف، ويتتبع النقد الثقافي حقيقة التحول السلبي من حالة الحلم والجمال إلى حالة الضياع والخيبة، وهو ما يخرج الخطاب من دائرة العاطفة المجردة إلى دائرة المراجعة الثقافية والسياسية[٣٠]. واستخلاصًا لما سبق نجد النقد الثقافي وسع من العملية البنيوية اللغوية الصغرى إلى عملية بنيوية كبرى تتضمن تحليل تقابل السياقات مع سياقات أخرى تتباين معها وكذلك في تحليل تقابل الأنساق الظاهرة مع الأنساق المضمرة من خلال علاقتهما القائمة على الاختلاف والتباين داخل بنية الخطاب، وهو تقابل انثروبولوجي استخدمه كلود ليفي شتراوس لتحليل الأساطير والثقافات البشرية من خلال البحث عن ثنائيات كنظام شامل ينظم الفكر البشري. وذلك من خلال البحث «في التطورات البنائية للبشرية ونمو الحضارات الإنسانية المعاصرة من خلال الدراسات المقارنة للحضارات على أوجه الاختلاف والتشابه بين الثقافات والجماعات البشرية العديدة التي تعيش على سطح كوكب الأرض»[٣١].

(٢٩) عبدالله عبدالوهاب نعمان: أشعار الفضول، ط: ٢، صنعاء الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، ص٦٧-٦٩.

(٣٠) ينظر: فتحي الشرماني: التحول الثقافي في القصيدة اليمنية المعاصرة، ص٥٧.

(٣١) خالد خواني: المنهج الأنثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيق، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، الجزائر، مج: ٤، ع: ٢، ديسمبر ٢٠٢١م، ص٣٧٩.

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في أعمال الدكتور أحمد قاسم أسحم:

يمثل ما قدمه الدكتور أحمد قاسم أسحم في أعماله النقدية – التي هي من ضمن مصادر دراستنا هذه إسهامًا ثريًا في الدرس الثقافي الذي جعل من النقد البنيوي وسيلة لوصول غاياته بناءً على عدة ركائز منهجية واصطلاحية تجعل من تحليل البنية النصية وسيلة للوصول إلى النسق. فالنقد الثقافي هو في الأساس «فرع من فروع النقد النصوصي العام، وأحد علوم اللغة وحقول الألسنية، وهي الحقول التي تمثل صلب النقد البنيوي. وبما أن النقد الثقافي يعتمد على النص كطريق لاكتشاف الأنساق، فإنه يستفيد من الأدوات البنيوية في تأويل النصوص[٣٢]. **ولإثبات ذلك نقرأ من قصيدة "اختاري" حيث يقول نزار:**

«إني خيرتك فاختاري / ما بين الموت على صدري/ أو فوق دفاتر أشعاري/ قولي، انفعلي، انفجري،»[٣٣] فنلاحظ النقد الثقافي «ينظر إلى توالي أفعال الأمر والنهي بما تمثله من دلالة صريحة ودلالة ضمنية، كما في الأفعال، (قولي، انفجري، لا تقفي)، ثم يقوم بتأويلها إلى نسق الفحل المتألّه؛ حيث تعكس هذه البنية سلطة عليا مسيطرة تحول المحبوب إلى إله يصدر الأوامر، والمرأة إلى عابد خاضع يقوم بتنفيذ ما يؤمر به[٣٤]. بالإضافة إلى أن النقد الثقافي يستثمر الأدوات الفنية البنيوية ويجعلها أدوات تقاطع مع إجراءاته، حيث نجد مصطلح النسق هو المفهوم المركزي في النقد الثقافي، ويأتي مرادفًا لمصطلح البنية أو النظام خاصة عند اللسانيين. وأن هذا التداخل الاصطلاحي سمح للنقد الثقافي باستعارة آليات التحليل البنيوي لتفكيك بنية الوعي والخطاب. فالنسق الثقافي ليس مجرد معلومات يتم نقلها، بل هو منظومة متكاملة تشكل بنية الوعي لدى الإنسان، وتظهر تجلياتها في الخطاب والممارسة السلوكية. وهو ما يتقاطع مع مفهوم البنية التي تعني التكوين العميق الذي يشكله النسق في عقل الفرد والمجتمع. ويظهر هذا التقاطع أيضًا في كون النقد البنيوي والنقد الثقافي يُعدّان من فروع النقد النصوصي وأحد علوم اللغة، رغم الاختلاف الحاصل بينهما في أن البنيوية تظل محصورة في دائرة الشكل (بنية النص الجمالية)، بينما يبحث النسق الثقافي في الدلالة والمعنى والواقع الاجتماعي. والبحث عن النسق في الدراسات الثقافية يتجاوز المعنى الساكن في النقد البنيوي ليتحدد عبر وظيفته؛ «وهي الوظيفة التي تحدث عندما يتعارض نسقان (أحدهما ظاهر والآخر مضمر) داخل النص الجمالي الواحد[٣٥]. أضف إلى ذلك أن البنيوية وفرت لإجراءات النقد الثقافي الأدوات التي أصبحت كوسيلة إلى غاية لتحليل القشرة الظاهرة ذات الصبغة الجمالية، مما سمح

(٣٢) ينظر: أحمد قاسم أسحم: النسق الثقافي المضمر في شعر نزار الخاص بالأنثى، ديوان أحلى قصائدي - نموذجًا، مجلة بحوث جامعة تعز، ع: ٢٠، يوليو ٢٠١٩م، ص٧.
(٣٣) نزار قباني: ديوان أحلى قصائدي، ط١٦، ١٩٩٢م. ص٥.
(٣٤) ينظر: أحمد قاسم أسحم: المرجع السابق، ص١١
(٣٥) ينظر: المرجع نفسه، ص٨.

للنقد الثقافي الغوص تحتها للوصول إلى النسق المضمر، وهي الوظيفة التي مكنته من الخروج من نفق الشكلانية والدخول في أوجه الثقافة والواقع الاجتماعي التي أهملها النقد الأدبي التقليدي. ولإثبات ذلك نقرأ قول نزار على لسان المرأة: «وسأبدو كالأميرات ببهو عربي"[٣٦]؛ فالإجراء البنيوي المتمثل في التشبيه في قوله «كالأميرات» نجده هنا لعب دورًا بارزًا في تعميق الدلالة النسقية، حيث جعل هذا التشبيه المرأة جسدًا تشبه جسد الأميرات وليست الأميرة، وميل الشاعر لتقنية التشبيه بدلًا من تقنية الاستعارة، هو من عمل على إيجاد تصويرًا جسديًا لا جسميًا للمرأة التي يحلم بها الشاعر، فتظهر من خلالها المرأة جسدًا خالصًا فقط للذة والمتعة النسقية، ومن ذلك تتجلّى ذاتية الرجل وخصوصًا الخائن المبتغي اللذة الجسدية وهو نموذج يعيش في لا شعور الشاعر نزار. وبذلك تكون إجراءات النقد الثقافي وظفت البنيوية للكشف عن الأنساق المضمرة، في اتخاذها آلية التفريق اللغوي الدقيق بين لفظتي الجسم والجسد استنادًا إلى الدلالة المعجمية القرآنية، التي اتضح من خلالها أن الجسد يرمز لغويًا إلى الشيء المادي الذي يخلو من الروح والحياة، كما في قوله تعالى في وصف عجل السامري: «عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ» (طه: ٨٨)، بينما الجسم: هو الكيان الذي تضخ فيه الحياة والروح، كما في قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ». (المنافقون: ٤) فنجد هذا الإجراء البنيوي (اللساني) ساعد إجراءات النقد الثقافي على كشف نسق الشيئنة؛ الذي تم به «تحويل المرأة من كائن حي (جسم) إلى شيء مادي فاقد للروح يتمثل بالجسد لإشباع غريزة الرجل[٣٧]. فهذا التفريق اللغوي البنيوي وفر لإجراءات النقد الثقافي أرضية صلبة تنطلق منها الأداة التأويلية التي تعمل على توضيح: كيف أن الأنساق الثقافية في شعر نزار قباني تعمد إلى شيئنة المرأة باختزالها في دلالة الجسد لتبقى مادة الميتة يتم سلبها عقلها وروحها وتحويلها إلى وعاء للمتعة فقط. كما اتخذ النقد الثقافي الدلالات الصريحة والضمنية للوصول إلى الدلالة الثالثة النسقية، لتصبح الآليات الإجرائية البنيوية هي الجسر الذي عبر من خلاله النقد الثقافي، وذلك من تحليل بنية النص اللغوية إلى تحليل الأنساق الثقافية التاريخية والأزلية الكامنة فيه. ولتأكيد ذلك نقرأ قول الشاعر نزار على لسان امرأة: «وانتظر الصوت... الصوت يهمي عليّ/كصوت نبي»[٣٨]. فالدلالة الصريحة تتمثل في صوت الشاعر الذي يتسم بسمات الرحمة والإنسانية والهدوء (كصوت نبي). والدلالة الضمنية تُمثّلت في رغبة الشاعر إظهار تميزه وإظهار سمو شاعريته، والدلالة النسقية (الثالثةُ) تمثّلت في النسق المحرَّم؛ فصوت النبي هو الأعلى والواجب الاتباع، والمخالف له يدخل في دائرة العصيان. وبذلك يكتسب نسق الفحولة مسوغًا دينيًا يفرض الطاعة المطلقة على المرأة دون أي معارضة منها[٣٩]. وكذلك

(٣٦) نزار قباني: ديوان أحلى قصائدي، ص٢٢.
(٣٧) ينظر: أحمد قاسم أسحم: النسق الثقافي المضمر في شعر نزار الخاص بالأنثى، ص٣٠.
(٣٨) نزار قباني: ديوان أحلى قصائدي، ص١٠.
(٣٩) ينظر: أحمد قاسم أسحم: النسق الثقافي المضمر في شعر نزار الخاص بالأنثى، ص١٤.

استثمر النقد الثقافي الأدوات الفنية البنيوية وجعلها أدوات حجاجية ثقافية، فالصور الفنية والبلاغية (مثل الاستعارة، والتشبيه، والكناية) تنتقل إلى أدوات حجاجية ثقافية بنائية ضرورية لإقناع القارئ بالنسق الثقافي. ولإثبات ذلك نلاحظ أن الصور البلاغية في مقالات مي زيادة انتقلت من كونها زينة لفظية إلى وسائل حجاجية وبنائية ضرورية لإقناع القارئ بالنسق الثقافي الإيجابي وجعله أمرًا بدهيًّا في ذهنه، كما في استخدام الكاتبة، مي زيادة، التشبيه لتحويل القيم الاجتماعية المرفوضة إلى صور منفرة تدفع القارئ لنبذها. ومثالًا على ذلك قولها في مقالة عيد سعيد: «أرى أن أخبار الأفراح التي يطنطن بها الناس كالنواقيس ومظاهر الحداد التي ينشرونها كالإعلام إنما هي بقايا همجية قديمة من نوع تلك العادة التي تقضي بحرق المرأة الهندية حية قرب جثة زوجها»(٤٠)؛ فالكاتبة شبهت "أخبار الأفراح التي يطنطن بها الناس بـ النواقيس، ووصفت العادات الزائفة بأنها بقايا همجية قديمة. «ولم تكتفِ بوصف العادات، بل ربطتها بصورة الهمجية لإسقاط صفة التحضر عنها، مما يرغم القارئ فنيًا على التحرر من سلطة هذا النسق السلبي(٤١). وكذلك استثمر النقد الثقافي الأدوات الفنية البنيوية وجعلها محمولات نسقية، مثل: بنية التكرار كأداة بنيوية لتثبيت النسق في الوعي. وبنية بناء الفعل للمجهول كأداة لتحليل كيفية تصوير سلب الإرادة الإنسانية أمام العادات، وبنية الأساليب الإنشائية، مثل: الاستفهام والتوبيخ والتعجب لدفع المتلقي نحو "نسق التمرد. ولإثبات ذلك نلاحظ أن النقد الثقافي استثمر آلية بنيوية لسانية وهي بناء الفعل للمجهول في جملة الكاتبة "مي زيادة" في مقالة (مساجلة الرمال)، حيث تقول: «قُضِي علينا أن نكون دوماً في حكم الموتى»(٤٢). فنلاحظ التحليل البنيوي رصد الفعل "قُضِي" المبني للمجهول. لينطلق منه للكشف الثقافي الذي يكشف عن مضمر ثقافي يتعلق بضعف الإنسان وسلب إرادته أمام سطوة العادات والتقاليد التي تتحكم في مصيره كقوة خفية مصدرها الواقع المجهول، مما يحفز المتلقي ثقافيًا على التمرد لاستعادة فاعليته(٤٣). بالإضافة إلى استثمار الأدوات الفنية البنيوية للكشف عن صناعة الأنساق الثقافية الإيجابية، حيث وظف النقد الثقافي آليات التحليل البنيوي للكشف عن مصنع الأنساق الثقافية الإيجابية، وذلك في جعل البنيوية تدرس السحر البياني كبنية لغوية، مما يتيح ذلك للنقد الثقافي فهم كيف يتحول النص من مجرد كلمات إلى اتجاه نفسي وبديهيات توجه سلوك المجتمع. وهذا يتمثل في قدرة الأديب على جعل القيم والمبادئ تبدو بديهيات في ذهن القارئ، بحيث لا يكتفي باستيعابها فكريًا بل يمارسها كسلوك واقعي. كتحويل "الكلمة" إلى اتجاه نحو المسؤولية، ولإثبات ذلك نقرأ قول

(٤٠) مي زيادة: سوائح فتاة، مؤسسة نوفل، ص٦٩.
(٤١) ينظر: أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الثقافي الإيجابي في مقالات مي زيادة، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانيّة، جامعة تعز، اليمن، ع٤٢، ٢٠٢٤م، ص٩٥٨.
(٤٢) مي زيادة: كلمات وإشارات، مؤسسة نوفل، ج: ٢، ص١٤٠.
(٤٣) ينظر: أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الثقافي الإيجابي في مقالات مي زيادة، ص٩٦٠.

الكاتبة مي زيادة، في مقالة، أنا والطفل: «سوف تقبض على السيف والحرية وتطلق النيران من أفواه المدافع، سوف تفتك بحياة البشر أشرارًا كانوا أم أبرار... وعيناك الجميلتان سوف تكونان عيني جلاد، يرى الدماء والدموع دون أن يلين أو يرحم.... وقلبك ترى كيف يكون قلبك الذي لا يدرك اليوم ولا يشعر إلا قليلًا»(٤٤)؛ فنجد إجراءات النقد الثقافي لم تكتفِ بتحليل الدعوة اللفظية للمسؤولية التي تضمنها النص، بل استخدمت أداتا التفسير والتأويل في تحليل التعريض الفني الذي وظفته الكاتبة لخلق اتجاه نفسي لدى القارئ. فمن خلال تصوير الحرية المطلقة (بلا مسؤولية) كحرية حيوانية قائمة على الافتراس، أرغمت القارئ فنيًا على تبني نسق المسؤولية كخيار إنساني وحيد؛ وذلك حتى لا يرى نفسه حيوانًا في مرآة ذاته، مما يحول النص من نصيحة لسانية إلى التزام سلوكي يضمن سعادة المجتمع(٤٥). ونجد الكاتبة "مي زيادة" تحاول إرشاد المخاطب أن يثور على وضعه بالاستفهام الإنكاري التوبيخي في قولها: «أنكون في حكم الموتى ونحن نشتاق ونتعذب»(٤٦). فيكون هذا الاستفهام في النص ليس مجرد تساؤل لغوي، بل تحول إلى نسق للتغيير. «فالكاتبة استثمرت الكناية في قولها: (نشتاق ونتعذب) لإثبات فاعلية الوعي والحياة لدى المخاطب، مما يحفزه نفسيًا لنبذ نسق الرضوخ للسلطة الاجتماعية الفاسدة واستعادة إرادته في مواجهة العبودية للعادات السيئة القديمة(٤٧).

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في أعمال الدكتور عبدالحميد الحسامي:

نرى أن الدكتور عبدالحميد الحسامي من النقاد اليمنيين الذين استفادوا من النقد البنيوي، في أعماله النقدية الثقافية التي قمنا بمراجعتها وفحصها، إذ ينطلق من استراتيجية نقدية تحول النص من مجرد منتج جمالي إلى حادثة ثقافية محملة بدلالات القوة والسلطة، ولا يكتفي بوصف البلاغة الظاهرة، بل يغوص في أعماق النص للكشف عن الأنساق التي توجه العقل الجمعي، حيث لا تُؤخَذُ الكلمات بظاهرها الجميل، بل يتم اختراقها وفضح رسائلها السرية (الأنساق) لفهم كيف تُدَارُ الثقافة، وكيف تُكرس الهيمنة من خلال اللغة البليغة. من فكرة أن النص ليس كلمات مبعثرة بل هو نسق محكوم بقوانين داخلية. فبينما تقف البنيوية عند النسق اللغوي الجمالي، نجد النقد الثقافي يستخدم هذه النسقية كأداة لاختراق النص والوصول إلى الأنساق المضمرة (السياسية والاجتماعية) التي تعمل في الخفاء. ولمزيد من التوضيح نرى أن فكرة استعارة النسق من البنيوية، يكمن في تحويل التركيز من جمالية النص (ككلمات بليغة وموجزة) إلى الأنساق المضمرة (كقوانين ثقافية وسلطوية خفية تُحرك المجتمع). وقد استعار النقد الثقافي مفهوم النص من البنيوية كونه بنية محكومة بعلاقات داخلية ليتعامل مع المثل الشعبي ليس كجملة معزولة أو حكمة فردية، بل بوصفه جزءًا من نسق

(٤٤) مي زيادة: ظلمات وأشعة، مؤسسة هنداوي، مدينة نصر، ٢٠١٢م، ص١٠.
(٤٥) ينظر: أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الثقافي الإيجابي في مقالات مي زيادة، ص٩٥٩، ٩٦١.
(٤٦) مي زيادة: كلمات وإشارات، ص١٤٠.
(٤٧) ينظر: أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الثقافي الإيجابي في مقالات مي زيادة، ص٩٦٠.

ثقافي متكامل. فالقانون الداخلي هنا ليس لغويًا صـــرفًا، بل هو قانون ثقافي مضـــمر يوجه الوعي الجمعي؛ فالمثل لا يُقرأ بما يقوله ظاهريًا، بل بما يمثله داخل نظام الهيمنة والطبقية. وهذا يعني أن مفهوم النص الشـــعبي يُعدُّ حادثة ثقافية؛ أي أنه ليس مجرد أدب، بل هو بنية نظامية محمَّلة بصـــراعات القوة، حيث تعمل اللغة فيه وفق قوانين المســـكوت عنه والمصـــرح به لتوجيه ســـلوك الجماهير سياسيًا واجتماعيًا. ولإثبات ذلك نقرأ المثل القائل: «إذا كثر الأدياك بطل الصبح»[٤٨]. ومن الواضـــح أن نقدية هذا المثل المقروء تقوم على إجرائين، أولها: الإجراء البنيوي المتمثل في تحليل مفردات المثل اللغوية كمفردة(الصـبح) التي تُمثّل الدلالة الصـريحة، ثم تتحول إلى أداة فنية بنيوية، في المثل، «كونها معادلًا موضـوعيًا للسـلطة (دلالة ضـمنية)، وتتحول من خلالها إلى دلالة نسـقية للفحولية الفردية التي حملها الخطاب. أي أن الســـلطة تفســـد بكثرة الســـاســـة أو بتعدد الفحول السياسيين[٤٩].

وثانيها: الإجراء الثقافي، والذي يتمثل في أن الأدوات الفنية البنيوية تصـــبح هي مرتكز التحول من الجملة الجمالية إلى الجملة الثقافية في إجراءات النقد الثقافي، فنلاحظ أن إجراءات البنيوية تناولت تحليل البنية اللغوية والصـيغ الجمالية والبلاغية في الأمثال الشـعبية، ولم تقف عند جماليات هذه الصـيغ النصـية، بل اتخذها النقد الثقافي جسـرًا للوصـول إلى الجملة الثقافية، وذلك في البحث عن سبب مجيء صِيغ الأمثال الشعبية بهذا الشكل، وفي البحث عن الانحيازات الأيديولوجية التي تحملها الأمثال. ولتأكيد ذلك نقرأ المثل القائل «كوفية اليهودي ما يِغَطي زُنَّارُو»[٥٠]، فالملاحظ من ذلك أن النقد الثقافي اسـتعمل النقد البنيوي في تحليل الصـورة التشـبيهية في الكوفية القصـيرة والزنّار الطويل، «ويقف على تحليل صـورة المشـبه به الشـاخص الذي لا يتبدل، وصـورة المشـبه المحذوف. ومن خلاله انتقل النقد الثقافي إلى تفسـير سـبب حذف المشـبه الذي يجعل المثل ينفتح ليترك الأمر قابلًا لهضـم كل صـغير ومحتقر، وذلك في تذهين صـورة اليهودي السـلبية في وعي المجتمع من خلال اسـتدعاء مسـتلزمات اليهودي في الصـور الدَّالة على السـلبية المتمثلة بالكوفية والزنّار[٥١]. بالإضـافة إلى أن النقد الثقافي استفاد من قدرة البنيوية على الغوص تحت سطح النص. فبينما كانت البنيوية تبحث عن المعنى الأدبي العميق، استخدم النقد الثقافي نفس الآلية للبحث عن القبح النسقي أو الرســـائل الســـلطوية المســـكوت عنها التي تختبئ وراء البلاغة الظاهرة للمثل. حيث وظف قدرة

(٤٨) إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص ١٣٢/٣٦٤.

(٤٩) ينظر: عبدالحميد الحسامي: النقد السياسي في المثل الشعبي، صادر عن جائزة المرحوم هائل سعيد أنعم للإبداع الأدبي، ط١، ٢٠٠٩م، ص٦٠.

(٥٠) إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، المرجع السابق، ص٤٧٨٧، ١١١٣.

(٥١) ينظر: عبدالحميد الحسامي: ذاكرة الزنّار، قراءة لصورة اليهودي في المثل الشعبي اليمني، مؤسسة أروقة للدراسة والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٦م، ص٦٧، ٦٨.

البنيوية على كشف البنى العميقة لتفكيك نسق الفحولة السياسية في الأمثال الشعبية. وذلك في التعامل مع صورة الحاكم الفحل والمحكوم التابع كبنية نظامية ثابتة يُعيد المثل إنتاجها، والغوص في هذه البنية هو ما سمح بفضح كيف تُشرعن اللغة الشعبية الاستبداد وتجعله جزءًا من بنية العقل الجمعي. ولإثبات ذلك نقرأ المثل القائل: «دار معمور ولا قرية خراب»(٥٢). فالإفادة البنيوية هنا تتمثل في استخدم النقد الثقافي البنيوية في تحليل بناء خطاب المثل «الذي يقوم على عمليتي الإثبات للفرد الواحد المتمثل بمفردة "دار"، وعملية النفي للمجموع بمفردة "قرية"، وكأن عمران الدار لا يكون إلا بخراب القرية، ولا يذهب التفكير إلى محاولة عمران القرية. ومن خلال هذا التحليل البنيوي الذي اتخذه النقد الثقافي للانتقال بعد ذلك إلى إيجاد أداة تشابهية تربط اشتغالات داخل نص المثل بخارجه، يعتمد عليها في تأويل الدلالة النسقية، فالمعادل الموضوعي الذي اعتمدت عليه الإجراءات البنيوية لتحويل البناء المعجمي (الصريح) إلى بناء مجازي(ضمني)، هو الأداة التي اعتمدت عليه الإجراءات الثقافية لتحويل البناء النصي الواعي إلى بناء نسقي ثقافي لاواعي يعمل على ترسيخ وتمجيد الفحولة الفردية التي هي معادل للدار، وعلى القرية برمتها التي هي معادل للمجموع(٥٣). كما تجلت الأدوات البنيوية في التعامل مع المثل الشعبي بوصفه "بنية ثابتة مركزية" من خلال تحويله من مجرد مشافهة شعبية عابرة إلى نص أكاديمي خاضع للفحص. فالملاحظ أن الثبات البنيوي للأمثال الشعبية عبر الأجيال جعلها نصًا بنيويًا ثابتًا معزولًا عن غيره وأكبر موسوعة وأرشيفًا ثابتًا للوعي الجمعي، وهذا ما جعله ينتقل إلى مادة مثالية في النقد الثقافي الذي يُسلط ضوءه لحفر الذاكرة الجمعية واستخراج طرائق التفكير وبنى التعبير تجاه الآخر. وهذا ما سمح للنقد الثقافي أن يوظف هذه البنية لتحويل النص من مجرد أدب إلى حادثة ثقافية مرتبطة بموازين القوى والهيمنة، من خلال استخدام أدوات التشريح اللغوي البنيوية للتعامل مع اللغة والأساليب والصور البلاغية كبنيات ثابتة داخل المثل. واتخذ من هذا البناء الثابت جسرًا لفهم كيف يعمل الجمال اللغوي كقناع لتمرير أيديولوجيا السلطة أو الطبقية. فالأدوات البنيوية وفرت للنقد الثقافي صرامة منهجية وموضوعية في تحول النص من مادة للتذوق الشخصي إلى "حادثة ثقافية" خاضعة للتشريح العلمي. وهذا ما جعل عملية الكشف عن العيوب النسقية (مثل الفحولة السياسية أو الاستلاب والخنوع) تتم عبر تحليل منهجي لبنية الخطاب، وليس بناءً على أحكام أخلاقية خارجية. فالأدوات البنيوية في منظور النقد الثقافي تُعدُّ ظاهرة ثقافية، يحاول من خلالها إثبات أن بنية الأمثال الشعبية الجمالية ليست بريئة؛ فعن طريق تحليل البناء الفني للمثل، يتم الكشف عن كيفية تغييب الوعي النقدي للمتلقي، وهنا ينتقل النقد من "الاستمتاع الانطباعي بالجمال" إلى "نقد ثقافي موضوعي". يهتم بتفكيك القناع الجمالي

(٥٢) إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، ص١٧٦٧، ٤٧٩.
(٥٣) ينظر: عبدالحميد الحسامي: النقد السياسي في المثل الشعبي، ص٦٣.

لفهم موازين القوى المتصارعة. وهذا ما جعل الحسامي يخصص الفصل الرابع، لتناول ظاهرة الأنساق الفنية الضدية. في كتابه، الذي يحمل عنوان "النقد السياسي في المثل الشعبي"، ولإثبات ذلك نقرأ المثل القائل: «على هامان يافرعون»(٥٤).

فَيُسْتَشَفُّ من تحليل المثل بنيويًّا «بأن المثل يحمل في طيه دلالة السخرية التي تتمثل في انكشاف أمر فرعون وخدعه التي يخدع بها الناس، وهامان على معرفة وإطلاع لتلك الخدع التي ينسجها فرعون، وحينما حاول فرعون أن يوهم هامان بأنه مشغول بخلق الجمال، قال له هامان: «وعلى هامان يافرعون»، وفي حال استحضار المكون التكلمي للمثل تتكشف عنه الدلالة النسقية الساخرة، كون أسلوب السخرية وتقنياتها الفنية من الأساليب التي تمثل ظاهرة فنية في خطاب المثل، وذلك في قدرتها على كشف الأنساق الضدية في التفكير الشعبي، وتجسيد النقد السياسي بمهارة فائقة، حيث تعد سلاحًا شعبيًا في مواجهة هيمنة الحاكم(٥٥). ولتأكيد ذلك نقرأ المثل القائل «في الوجه يا سيدي وفي القفا يا يهودي»(٥٦). فنلاحظ النقد الثقافي يستخدم النقد البنيوي في تحليل مفردة "اليهودي" في المثل ويوضح دلالتها الكنائية عن الذم بشتى صوره وألوانه، «ويحلل دلالة التقابل الضدي بين الحضور والغياب. حيث يضرب هذا المثل للشخص الذي يثني على غيره في حضوره ويذمه في غيابه، ثم ينتقل إلى تفسير وظيفة الكناية والتقابل في تجسيد ظاهرة السخرية التي شكلت في خطاب المثل حضورًا لافتًا يسعى إلى تعميق وترسيخ دلالة الصورة السلبية لليهودي في المجتمع اليمني(٥٧). ومن ذلك نستخلص أن الأدوات الفنية البنيوية تصبح مرتكزًا لأدوات الهيمنة الثقافية، فهي ليست مجرد زينة، بل هي أدوات هيمنة ثقافية، فالنقد البنيوي يُفكك الصور الفنية مجهريًا ثم يأتي النقد الثقافي ليوضح كيف تساهم هذه البنى في تثبيت صورة نمطية للآخر وجعلها مقبولة وعصية على النسيان.

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في أعمال الدكتور نصر الصباحي:

عندما نتأمل في منجز الصباحي النقدي لا يمكن أن نغض الطرف عن الاستراتيجية التي جعلت النقد البنيوي أداة تطبيقية لإجراءات النقد الثقافي والتي تمثلت في اعتماد التحليل الثقافي على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي الذي تعد البنيوية ذروته الإجرائية في تحليل النصوص وتفكيك بنيتها. حيث نلاحظ أن النقد الثقافي استثمر التحليل البنيوي للخطاب النصي الظاهر (الحاضر) للوصول إلى الخطاب الثقافي المضمر (الغائب)، حسب ما أثار الناقد في مقدمة كتابه من تساؤلات عن الدلالة الثقافية المضمرة التي تحملها الأمثال الشعبية بوصفها خطابًا اجتماعيًا يُكَرِّسُ الهيمنة

(٥٤) إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، ص ٥٩٦١/ ١٣٤٠.
(٥٥) ينظر: عبدالحميد الحسامي: النقد السياسي في المثل الشعبي، ص٢٢٢، ٢٢٣.
(٥٦) إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، ص٣١٥٣، ٧٨٣.
(٥٧) ينظر: عبدالحميد الحسامي: ذاكرة الزنار، ص٦٣.

الاجتماعية. ومن ذلك اعتمد النقد الثقافي على التحليل البنيوي للخطاب النصـــي والعلاقات القائمة بين مكوناته للوصـــول إلى دلالاته الثقافية، «معتبرًا أن الأنســـاق الثقافية تتبني داخل هذه البنية التواصـــلية[٥٨]. ولهذا «فإن الأدب الشـــعبي وما ينتجه من خطاب أدبي بفنونه المختلفة يمثل ميدانًا خصـيبًا يتم الاعتماد على فنونه وأجناسـه في معرفة ثقافة المجتمعات وطريقة تفكيرهم، ونظرتهم إلى أنفســـهم والكون عامة[٥٩]. ولإثبات ذلك نقرأ المثل القائل: «المروءة عند البدو أســـلاف»[٦٠]. ومن الملحوظ أن النقد الثقافي اعتمد على الأدوات البنيوية في تحليله للخطاب النصـــي لهذا المثل الذي يوحي بالانتصـار للآخر، وذلك في تناول «بناء حضـور البدوي في صـورته الإيجابية باعتباره إنسـانًا أصـيلًا يتمثل في المروءة الإنسـانية من شـهامة وأنفة وكرم كنهج ثقافي سـائد وإرث اجتماعي قيمي أخلاقي، ثم انطلق الناقد في تحليله لهذا المثل صـــوب الخطاب الثقافي الغائب الذي يضـــمر دونية وتهميش واحتقار طبقة البدو[٦١]. بالإضافة إلى أن النقد الثقافي استفاد من النقد البنيوي بوصفه جسرًا منهجيًا وأداة إجرائية لتحليل النصـوص، مع السـعي لتجاوز غاياته الجمالية المحضـة للوصـول إلى أهدافه، وذلك في الانتقال من النص إلى الحادثة الثقافية، في اســـتخدام الأدوات البنيوية لتحويل النص من مجرد نص أدبي جمالي إلى حادثة ثقافية، وكذلك في اســـتثمار آليات التحليل اللســـاني للكشـف عن "اللاشـعور النصـي" والأنسـاق المترسـبة بطريقة غير واعية[٦٢]. واتخذ النقد الثقافي من النموذج اللسـاني البنيوي "رومان جاكبسـون"، الذي تضـمن عناصـر التواصـل السـتة المتمثلة في (المرسـل، المرسـل إليه، الرسـالة، الشـفرة، السـياق، الوظيفة) أرضـية انطلاق إجرائية، للوصـول إلى العنصـر السـابع المتمثل "بالنسـق المضـمر" الذي أضـافه الغذامي؛ وهو العنصـر الذي يشـتغل خلف الوظيفة الجمالية للبنية الظاهرة[٦٣]. ونرى أن عملية انتقال المثل الشـــعبي من نص أدبي إلى حادثة ثقافية بوصـــفها تؤثر فعليًا في ســـلوك المجتمع، تحققت في الحادثة الشـــهيرة التي وقعت في مطلع العشرينيات من القرن الماضي في ريف ذمار بخصوص تقسيم ميراث. ونشب خلاف بين ورثة حول قضاء دَيْن على المتوفى قبل تقسيم التركة؛ حيث اعترضوا على ذلك ورفضوا حتى الانصياع للنص الديني الذي تلاه عليهم مفتي ذمار القاضـي أحمدبن أحمد العنسـي في قوله تعالى: «من بعد وصـيةٍ توصون بها أودين» (النساء: ١٢). فلم ينصاعوا وفجأة استدعى القاضي مثلًا مشهورًا فقال لهم: إن علي ولد زائد يقول: "الدين قبل الوراثة". حينها حدث تحول بتوافق الورثة لإنهاء الخلاف. فنلاحظ

(٥٨) ينظر: نصـــر محمدالصـــباحي: الأنســـاق الثقافية في الأمثال الشـــعبية اليمنية، دار أمجد للنشـــر، عمان، الأردن، ٢٠٢٤م. ص٢٣.
(٥٩) ينظر: نصر محمد الصباحي: الأنساق الثقافية في الأمثال الشعبية اليمنية، المرجع السابق، ص٤٧.
(٦٠) أسماعيل علي الأكوع: الأمثال اليمانية، ص٢/ ١١٢٩.
(٦١) ينظر: نصر محمد الصباحي: المرجع السابق، ص٢٤١.
(٦٢) ينظر: المرجع نفسه، ص٤٢.
(٦٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٤٢.

المثل هنا انتقل من كونه مجرد نص بلاغي محفوظ إلى حادثة ثقافية، وقانون اجتماعي غير مكتوب يمتلك سلطة تفوق أحيانًا القوانين المكتوبة في الوعي الجمعي. فالنسق الثقافي جعل المتلقي يستجيب للمثل بسرعة وانفعال لأن المثل أصبح جزءًا من اللاشعور النصي الذي يوجه السلوك البشري. ويتجلّى ذلك في تحول المثل من وحدات لغوية إلى عنصر سابع في العملية التواصلية (النسق المضمر)، حيث يشتغل خلف الوظيفة الجمالية ليقوم بدور الدستور الذي يحدد الممارسات الاجتماعية. ونجد هنا إجراءات النقد الثقافي لم تكتفِ بشرح معنى "الدين قبل الوراثة" لغويًا بل فحصت كيف تحول هذا النص إلى أداة ضبط اجتماعي قادرة على حسم النزاعات المادية الواقعية(٦٤). كما أن العنصر الجمالي البنيوي بوابة الوصول للمضمر كون الثقافة تتوسل بالجمال الذي تختص البنيوية بتحليله لتمرير أنساقها، وتحليل البنية الجمالية للنص يصبح ضرورة إجرائية لكشف الأنساق التي تتوارى خلف أقنعة البلاغة. فالمثل خطاب ينطوي على صبغة جمالية – وإن كانت تختلف في مداها عن الجمالية في النص الشعري – تتمثّل في الإيجاز والتكثيف والتشبيه والكناية والمحسنات البديعية كالجناس والتكرار والتقابل، كما أن المثل يستحضر حادثة قديمة متفق على تحققها، وهو ما يعني إضافة جمالية القصة إلى جمالياته السابقة(٦٥). ولإثبات ذلك نقرأ المثل القائل: «القبيلي مصملي»(٦٦) والمثل القائل: «إذا رخي الخطام للقبيلي فلت»(٦٧). فنلاحظ النقد الثقافي يستخدم النقد البنيوي في تحليله للمثلين السالفين ويقف على الصورة الجمالية في ألفاظ التشبيه التي جعلت صورة القبيلي لا يكون إلا بالعصا، وتشبيهه بالحيوان. ثم ينتقل إلى تناول الحادثة الثقافية، وذلك في رؤيته التحليلية بأن هذه النصوص ليست مجرد تشبيهات أدبية، بل هي حوادث ثقافية تشرعن القمع وتكرس استخدام "العصا" كأداة سياسية واجتماعية لترويض الأفراد وإبقائهم في حالة خضوع دائم(٦٨).

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في أعمال الدكتور عباس السوسوة:

الملاحظ أن النقد البنيوي أصبح – وبالأخص المنجز اللساني – أداة تطبيقية للمنهج الثقافي في العمل النقدي الذي اختص به الدكتور عباس السوسوة، حيث نرى أن النقد البنيوي وفر الصبغة العلمية والأدوات الإجرائية اللازمة لتحليل النصوص بعيدًا عن الانطباعية، مما استطاع النقد الثقافي من كشف الأنماط العميقة المختبئة خلف اللغة. حيث نلاحظ أن تصورات السوسوة تبنَّت الرؤية البنيوية التي ترى في النص موضوعًا أصيلًا لا تابعًا ثانويًا للتاريخ، وأن النص يمتلك حقيقته

(٦٤) ينظر: نصر محمد الصباحي: الأنساق الثقافية في الأمثال الشعبية اليمنية، ص٣٧.
(٦٥) ينظر: المرجع نفسه، ص٤٨.
(٦٦) إسماعيل بن علي الأكوع: الأمثال اليمانية، ص٢/ ٧٩١.
(٦٧) المرجع نفسه، ص١/ ١٠٤.
(٦٨) ينظر: نصر محمد الصباحي: الأنساق الثقافية في الأمثال الشعبية اليمنية، ص١٩٩.

الجمالية والرمزية الخاصة التي تتجاوز كل الوقائع التاريخية. والتي من خلالها تتمكّن إجراءات النقد الثقافي أن تدرس النص ككيان يحمل أنساقه الخاصة، مما يسمح بكشف كيف يتم إنتاج صورة الأنا وصورة الآخر داخل البنية الأدبية، بغض النظر عن الحقائق التاريخية الخارجية. فعندما زعم بعض المؤرخين (مثل شوقي ضيف) بأن شعراء مثل عمر بن أبي ربيعة، وابن قيس الرقيات، لا يُحتج بشعرهم بسبب الاختلاط بالأعاجم، وهنا، نجد السوسوة يرفض النسق التاريخي العرقي ويحتكم إلى البنية اللسانية للنص ذاته، مؤكدًا أصالة هذه النصوص من خلال وجودها كشواهد لسانية في أمهات الكتب القديمة، مثل كتاب سيبويه، ومعجم لسان العرب، مما يجعل النص مرجعًا بذاته يتجاوز أحكام التاريخ المتأخرة(٦٩). فالنقد البنيوي ساعد النقد الثقافي في الكشف عما يسمى النسق المضمر (وهو نمط ثقافي مخفي)، وهذا النسق في جوهره هو بنية ذهنية ولغوية لذا، تكون الأدوات البنيوية هي الأنسب لتفكيك هذه البنى وكشف التحيزات العرقية أو المذهبية التي تتخفى وراء جماليات اللغة. ولذا فإن الاعتماد الكلي على التاريخ السياسي لمحاكمة النص هو خطأ منهجي، لأن النصوص التاريخية لا يُلتزم فيها بالصدق في كل حال، وكثيرًا ما تكون روايات مغرضة شوهتها الصراعات (مثل تشويه صورة الحجاج بن يوسف إرضاءً للعباسيين، وعليه فإن النقد الثقافي يدعو الناقد إلى استقلال الظاهرة الأدبية كموضوع أصيل يمتلك أدوات تحليله لسانية بعيدًا عن أهواء الرواة والمؤرخين(٧٠). كما أن البنيوية وفرت للنقد الثقافي صبغة علمية منضبطة تحاكي منهج العلوم الطبيعية، هذا الانضباط المنهجي جعل من السهل على الناقد الثقافي تقديم تحليل موضوعي للأنساق الثقافية المكتسبة، بدلًا من الاعتماد على أحكام ذاتية أو تاريخية قد تكون مغرضة. فالحداثة المنهجية تقتضي الانفتاح على المنجز اللساني والنقدي المعاصر الذي يركز على الصيغة اللغوية للنص، بدلًا من الدراسات التي تظل خارج النص وتجعله ملتبسًا بالزمان والمكان والسياسة(٧١). ونرى أن هذه التصورات قدمت النقد البنيوي بهيئة المختبر اللساني الذي يحتاج إليه النقد الثقافي ليحول نقد الأدب من مجرد محاكمات أيديولوجية أو سياسية إلى عملية تفكيك علمية للأنساق والتحيزات الثقافية الكامنة في لغة النصوص.

إفادات النقد الثقافي المقارن من النقد البنيوي في أعمال الدكتور مسعود عمشوش

يبدو أن الذي جعل النقد البنيوي أداة تطبيقية للنقد الثقافي المقارن في أعمال الدكتور مسعود عمشوش الثقافية، هي إجراءات النقد الثقافي المقارن التي لا ترى حرجًا في توظيف نفس التقنيات والأدوات التي استخدمها النقد الأدبي (بما فيها البنيوية)، ويكمن الفرق في استخدامها لبلورة وجهات

(٦٩) ينظر: عباس السوسوة: عن النسق المضمر، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع: ٥١، مارس، ٢٠٠٤م. ص٥٠.

(٧٠) ينظر: عباس السوسوة: عن النسق المضمر، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، المرجع السابق، ص٤٦.

(٧١) ينظر: المرجع نفسه: ص٣٢.

نظر واستنتاجات مختلفة تكسر احتكار المركزية الغربية للقيمة الجمالية، وتكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في نصوص الميديا والصورة وليس الأدب الرفيع فقط. للوصول إلى استنتاجات ووجهات نظر جديدة تختلف عن تلك التي توصلت إليها الدراسات السابقة(٧٢). فالنقد الثقافي يعمل على توظيف الأدوات البنيوية للكشف عن عناصر التأثر والتأثير في الأنساق المعرفية العالمية، التي تمنح النقد الثقافي صفة العالمية والقدرة على كشف تناقضات ثقافة العصر وإرشاد الإنسان نحو التحرر من التبعية والأيديولوجيات الاستبدادية. وذلك عملًا بدعوة "بيرنهايمر" (رئيس جمعية الأدب المقارن الإمريكية) التي تدعو إلى ضرورة تجاوز المركزية الأوروبية والمعايير الأدبية والجمالية التقليدية التي كانت تضع الأدب الغربي كمعيار أوحد، وبدلًا من ذلك، تم استخدام التقنيات التحليلية البنيوية لدراسة الثقافة بشكل عام وعدم حصرها في الأدب فقط، مما سمح بالاهتمام بالتصورات القادمة من مختلف أصقاع العالم، إن اعتماد النقد الثقافي المقارن على الأدوات البنيوية تكسبه القدرة على إخضاع النصوص لقراءة منهجية تهدف للكشف عن مختلف مرجعيات النص وبنياته ودلالاته، مما ساعد ذلك الناقد عمشوش على تقويم حجم المؤثرات الأجنبية في الأدب اليمني، وبلورة سمات هذا الأدب. ولم تقتصر إفادة الآليات التحليلية البنيوية للنقد الثقافي في وصف النص فحسب، بل أيضًا لفهم صراع القوى الاجتماعية داخل النص وتحديد مدى قرب النص أو بعده عن الواقع الاجتماعي، وهو ما عمل على تحويل الأدوات البنيوية من غاية وصفية إلى وسيلة تحليلية ثقافية. تعمل على إقامة توازن في ظل تداخل الثقافات؛ فالهدف البنيوي أصبح في مقاومة المركزية عبر قنوات اتصال تسمح بالحوار الثقافي والحضاري، والاستفادة من المعطيات المتجددة لدى الشعوب المتحررة (الهامش) التي أصبحت اليوم هي مصدر الطاقة المبدعة، وهذا ما أثبتته دراسة عمشوش في تناولها أدب ما بعد الاستعمار، في كتاب "النقد الثقافي المقارن"، حيث كشفت هذه الدراسة أن بعض مكونات الخطاب الاستعماري الغربي تسربت في ثنايا خطاب محمد علي لقمان، في كتابه "بماذا تقدّم الغربيون"، وذلك بسبب انبهاره السطحي بحضارة الاستعمار من خلال الافراط في وصف نجاحهم، وإجحافه في نقد الشرق(٧٣). وبهذا المعنى نرى أن البنيوية تحولت في يد النقد الثقافي من منهج يغلق النص على نفسه إلى قاعدة تقنية تسمح بتفكيك النص وإعادة ربطه بسياقه التاريخي والحضاري الواسع فالملاحظ أن البنيوية وفرت القاعدة التقنية (مثل مفهوم النسق وتفكيك النص)، بينما قام النقد الثقافي المقارن بتحرير هذه القاعدة من انغلاقها، وذلك باستخدام النقد الثقافي النقد البنيوي في دراسة صورة الملكة بلقيس عند الرومانتيكيين الفرنسيين، الذي لاحظنا ظهوره في تحليل

(٧٢) ينظر: مسعود عمشوش: النقد الثقافي المقارن، مركز مهارات للتدريب والدراسات والترجمة والنشر، عدن الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٢٣م.ص٥٩.
(٧٣) ينظر: مسعود عمشوش: النقد الثقافي المقارن، ص٢٢٩.

الصـــورة والبناء الســـردي الذي مزج بين الحلم والواقع في نصـــوص "تيرفال وفلوبير"، ثم تحوَّل نقدًا ثقافيًا في استخدام هذه المعطيات البنيوية لإثبات وجود "نظرة جمالية خطرة"؛ ليست بريئة من تمرير إسقاطات نسقية متخيلة تهدف لترسيخ تفوق الثقافة الأوروبية (المركزية) وإظهار "الآخر" الشرقي في صـــورة نمطية(٧٤). فالنقد البنيوي (أو نقد النص من الداخل) في النقد الثقافي المقارن يُعد بمثابة المحرك الإجرائي الذي اســـتثمره لتأســـيس مرتكزات نظرية وطرق تحليلية جديدة، وهذا الانتقال من الداخل النصي إلى الخارج النصي سمح له بوضع النص ضمن السياق الثقافي الذي أنتجه بدلًا من عزله تاريخيًا. ومن ذلك نجد عمشـــوش اســـتخدم البنيوية التي تعتمد على نظرية علم النص لقراءة النص من الداخل، كخطوة إجرائية للانتقال إلى قراءة النص من الخارج؛ أي وضـــعه ضـــمن مختلف المكونات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي أنتجته. وذلك بسبب ارتفاع مستوى تداخل الثقافات في العصـــر الحديث (عصـــر العولمة)، فبات من المســـتحيل دراســـة أي ثقافة خارج إطار المقارنة بهدف الكشـــف عن مميزات كل ثقافة، وقياس درجة تداخلها مع الثقافات الأخرى. نظرًا لإفرازات التطور التكنولوجي، وثورة وسائل الاتصال المختلفة، والمستجدات السياسية والاقتصادية التي شهدها العالم، وحدوث التحولات المعرفية الجذرية في شـــتى الدراســـات الأدبية في الجزء الأخير من النصـــف الثاني للقرن العشـــرين(٧٥). ومثالًا على الإجراءات البنيوية – لقراءة النص من الداخل (بنيوية/أدبية)– التي قام بها الناقد عمشوش تمثلت في رصد الهنات الفنية في رواية "طريق الغيوم" لسالم باصديق، مثل عدم تجانس لغة الحوار (التذبذب بين الفصـــحى والعامية)، وضـــعف الســـيطرة على الزمن الســـردي، وإهمال الشخصيات الثانوية لصالح البطل. ثم انتقلت إجراءات عمشوش إلى القراءة الخارجية الثقافية في تحليل صـــراع القوى الاجتماعية" داخل النص، من خلال تفســـير حالة الاســـتلاب والفقر والجهل التي تعيشها القرية، وكيف صنع المتنفذون وعيًا زائفًا لدى المواطنين. كما حلل الرواية بوصفها نتاجًا «لنسق "الواقعية الاشتراكية" التي سيطرت على الأدب اليمني في السبعينيات، موضـحًا كيف تحول الفن فيها إلى خطاب دعائي وتقريري بسبب ضغط الأيديولوجيا السياسية(٧٦).

إفادات النقد الثقافي من النقد البنيوي في الاتجاهات النقدية الغربية في أعمال الدكتور حيدر محمود غيلان:

تظهر أعمال الدكتور حيدر محمود غيلان في بحثه الموســـوم "بالأدب المقارن ودور الأنســـاق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته" بأن النقد البنيوي (الذي تمثلت جذوره في الشـــكلانية الروســـية وحلقة براغ اللغوية) أصـــبح أداة تطبيقية للنقد الثقافي لأنه وفر المنهجية الإجرائية اللازمة لتحقيق

(٧٤) ينظر: مسعود عمشوش: النقد الثقافي المقارن، المرجع السابق: ص٥٧إلى٥٩.
(٧٥) ينظر: المرجع نفسه، ص٤٩.
(٧٦) ينظر: مسعود عمشوش: النقد الثقافي المقارن، المرجع السابق: ص١٠٤، إلى ١٠٩.

أهداف الأنساق الثقافية الجديدة، خاصة تلك التي قامت بالثورة على الوضعية التاريخية، لتصبح الأدوات الفنية البنيوية هي الأداة التطبيقية التي تُنفذ رغبة النسق الثقافي، وهذا ما جعل ناقد النقد الثقافي المقارن يرى أن إجراءات النقد الثقافي تستخدم – في الدراسات المقارنة – المنهج البنيوي كأداة تطبيقية للكشف عن جماليات النصوص بدلًا من "عوامل التأثير" الخارجية. عملًا برؤية النسق الثقافي الإنساني في أمريكا الذي كان يهدف إلى رؤية العمل الأدبي كنتاج جمالي انساني يشبه اللوحة الفنية، التي لا نُسأل عن أصول مبدعها أو قوميته، ومكنت هذه الأداة المنهجية الباحثين الإمريكيين من رفض شرط المدرسة الفرنسية الذي يشترط بضرورة اختلاف اللغة، معتبرين أن التركيز يجب أن ينصب على الصلات الفنية والجمالية بين النصوص ككيانات موضوعية، بصرف النظر عن الحدود الجغرافية(٧٧). فالأدوات الفنية البنيوية هي أدوات استدعاها النسق الثقافي كأداة إجرائية لتحل محل "المنهج التاريخي والوثائقي" الذي لم يعد يلبي تطلعات المرحلة الحداثية. وعند دراسة مفاهيم واتجاهات النص يجب ربطها بالنسق الثقافي الذي أسهم في تشكيل كل اتجاه حتى نستطيع تكوين رؤية متكاملة تفسر اختلاف اتجاهات الأدب المقارن(٧٨). فالنقد البنيوي هو الذي سمح للنسق الثقافي بتطبيق رؤيته التي تقتضي دراسة الأدب كموضوع متميز عن غيره من نشاطات الإنسان. أضف إلى ذلك أن الأدوات الفنية البنيوية هي أداة الحاجة الاجتماعية والثقافية للكشف عن القوانين العامة للتطور الأدبي، وربط هذه البنى النصية بالظروف الاجتماعية (كما في الماركسية)، أو بالوعي الفردي (كما في الاتجاه الألماني)، اللذين ينظران إلى النقد البنيوي بأنه ثمرة ونتاج النقد الثقافي لأن النسق الثقافي هو من صاغ الأهداف داخل النص (مثل رفض القومية أو التركيز على الإنسان)، ليتولى النقد البنيوي مسؤولية التعامل مع النص الأدبي لتحقيق تلك الأهداف(٧٩). فالمجتمع «هو المسؤول عن تشكيل أجناس الأدب، وتحديد أنماطه. وهو أداة الحاجة الاجتماعية التي يُنظر من خلالها إلى "التأثير" الأجنبي كأداة إجرائية تخضع لشرط حاجة المجتمع المتلقي؛ كون البنية النصية لا تتغير إلا عندما تكون البيئة الاجتماعية مستعدة لتلقي هذا التغيير لتطوير واقعها(٨٠).

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث، يمكن رصد أهم النتائج التي توصل إليها البحث حول إفادات النقد الثقافي من توظيف المنهج البنيوي في الدراسات الثقافية اليمنية في الآتي:

(٧٧) ينظر: حيدر محمود غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته، مجلة دراسات يمنية، ع: ٨٠، عام ٢٠٠٦م، الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء. ص٩٨، إلى ١٠٨.

(٧٨) ينظر: المرجع نفسه ص٨٢.

(٧٩) ينظر: حيدر محمود غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته، المرجع السابق، ص٩١ إلى ٩٤.

(٨٠) ينظر: المرجع نفسه، ص ٩٤ إلى ٩٦.

١- لم تتبنَّ الدراســـات اليمنية البنيوية كمنهج لغوي منغلق يكتفي بدراســـة النص لذاته، بل وظفت النسقية البنيوية كأداة تحليلية لاختراق النصوص والوصول إلى الأبعاد السياسية والاجتماعية التي يرتكز عليها النقد الثقافي. وهو ما يمكن أن نسميه بالتحول من البنيوية المغلقة إلى النسقية الإجرائية.

٢- أثبت البحث أن الأدوات الفنية البنيوية (مثل: التضـــاد، التوازي، والتقابل) لم تعد غاية جمالية لتذوق اللغة، بل تحولت إلى وسائل معرفية لاستنطاق دينامية النسق الثقافي الكامن خلف النص، وكشف القبح النسقي الذي يتخفى وراء الغواية الفنية.

٣- نجح النقاد اليمنيون (كالدكتور عبد الحميد الحسـامي ونصـر الصـباحي) في تحويل النص –لا ســـيما المثل الشـــعبي– من مجرد جملة بليغة معزولة إلى حادثة ثقافية وبنية نظامية محملة بصراعات القوة والهيمنة، وقانون اجتماعي يمتلك سلطة تفوق أحيانًا القوانين المكتوبة.

٤- كشـف البحث من خلال أعمال الدكتور أحمد قاسـم أسـحم كيف يسـاهم التحليل اللغوي الدقيق (مثل التفريق بين الجسم والجسد) في فضح نسق «الشيئنة» الذي يختزل المرأة في دلالة المادة، وكيف تتحول أساليب الأمر والنهي في الشعر إلى تجليات لنسق الفحل المتأله.

٥- وفر المنهج البنيوي للنقد الثقافي اليمني (كما في رؤية الدكتور عباس السـوسـوة) صـبغة علمية منضبطة تحمي النص من انحيازات المؤرخين وأهوائهم، وتسمح بتقديم تحليل موضوعي للأنساق المكتسبة بعيدًا عن الأحكام الانطباعية أو الأيديولوجية الخارجية.

٦- أظهرت أعمال الدكتور مســعود عمشــوش أن توظيف الأدوات البنيوية في النقد الثقافي المقارن ساهم في كسر احتكار المركزية الغربية للقيمة الجمالية، وكشف عن الإسقاطات النسقية التي تهدف لترسيخ صورة نمطية عن الآخر الشرقي في الأدب العالمي.

٧- توصـــل البحث (من خلال دراســـات الدكتور حيدر غيلان) إلى أن البنية النصـــية لا تتغير إلا باستعداد البيئة الاجتماعية، مما جعل الأدوات البنيوية وسيلة للكشف عن القوانين العامة للتطور الأدبي وعلاقتها بالوعي الجمعي والظروف الاجتماعية.

٨- استطاعت الدراسات الثقافية اليمنية عقلنة الأدوات البنيوية في تحويلها من سجن للعلامات إلى مشرط تشريحي يكشف عن موازين القوى ويحفز الوعي الجمعي نحو التغيير والتنوير.

المصادر والمراجع:

أحمد قاسـم أسـحم: النسـق المضـمر في شـعر نزار الخاص بالأنثى، ديوان (أحلى قصـائدي – نموذجًا). مجلة بحوث جامعة تعز، ع: ٢٠، يوليو ٢٠١٩م.

أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الإيجابي في مقالات مي زيادة، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانيّة، جامعة تعز، اليمن، ع٤٢، ٢٠٢٤م،

إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
الأعشى الكبير: الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آذلف هلز هوسن، بيانة، ١٩٢٧م.
باقر جاسم محمد: نقد النقد أم الميتانقد – محاولة في تأصيل النفهوم، مجلة عالم الفكر، مج: ٣٧، ع٣، مارس ٢٠٠٩م.
برجر آرثر إيزا: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة، تر: إبراهيم وفاء، وبسطاويسي رمضان، مصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م.
بشر بن أبي خارم الأسدي: ديوانه، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
جابر عصفور: نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
حاج برادعي، الحاج جغدم: آلية التحليل البنيوي لبنية معنى النص الشعري، مقال في مجلة اللسانيات والترجمة، الجزائر، مج: ٤، ع: ١، ديسمبر ٢٠٢٥م.
حيدر محمود غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته، مجلة دراسات يمنية، ع: ٨٠، عام ٢٠٠٦م، الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء.
خالد خواني: المنهج الأنثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيق، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، الجزائر، مج: ٤، ع٢، ديسمبر ٢٠٢١م.
شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب نقلًا عن شهيرة قدور جبار: الخطاب الجزائري من السياق إلى النسق – قراءة المنجز النقدي لدى حبيب مونسي، رسالة دكتوراه، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، الجزائر، ٢٠٢٢م –٢٠٢٣م.
شهيرة قدور جبار: الخطاب الجزائري من السياق إلى النسق – قراءة المنجز النقدي لدى حبيب مونسي، رسالة دكتوراه، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، الجزائر، ٢٠٢٢م –٢٠٢٣م.
صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٨م.
صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، سبريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
عباس السوسوة: عن النسق المضمر، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع: ٥١، مارس، ٢٠٠٤م.
عبدالله عبدالوهاب نعمان: أشعار الفضول، ط: ٢، صنعاء الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.
عبدالله الغذامي: النقد الثقافي– قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م.
عبدالحميد الحسامي: ذاكرة الزنّار، قراءة لصورة اليهودي في المثل الشعبي اليمني، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٦م.

عبدالحميد الحسامي: النقد السياسي في المثل الشعبي، صادر عن جائزة المرحوم هائل سعيد أنعم للإيداع الأدبي، ط١، ٢٠٠٩م.

عماد شارف، وداودي صورية: خطاب النقد ونقد النقد في الثقافة العربية – سياقات النشأء وعوامل التحول، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مج: ١٠، ع٥، ٢٠٢١م.

فتحي الشرماني: التحول الثقافي في القصيدة اليمنية المعاصرة، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة، الإمارت العربية المتحدة، ٢٠٢٣م.

فتحي الشرماني: دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٨م.

مسعود عمشوش: النقد الثقافي المقارن، مركز مهارات للتدريب والدراسات والترجمة والنشر، عدن الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٢٣م.

ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.

مي زيادة: سوائح فتاة، مؤسسة نوفل. نقلًا عن: أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الإيحابي في مقالات مي زيادة، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانيّة، جامعة تعز، اليمن، ع٤٢، ٢٠٢٤م.

مي زيادة: ظلمات وأشعة، مؤسسة هنداوي، مدينة نصر، ٢٠١٢م.

مي زيادة: كلمات وإشارات، مؤسسة نوفل، ج: ٢، نقلًا عن: أحمد قاسم أسحم: صناعة النسق الإيجابي في مقالات مي زيادة، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانيّة، جامعة تعز، اليمن، ع٤٢، ٢٠٢٤م.

نزار قباني: ديوان أحلى قصائدي، ط١٦، ١٩٩٢م.

نصر محمد الصباحي: الأنساق الثقافية في الأمثال الشعبية اليمنية، دار أمجد للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٢٤م.

يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي –الشعر الجاهلي نموذجًا، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.